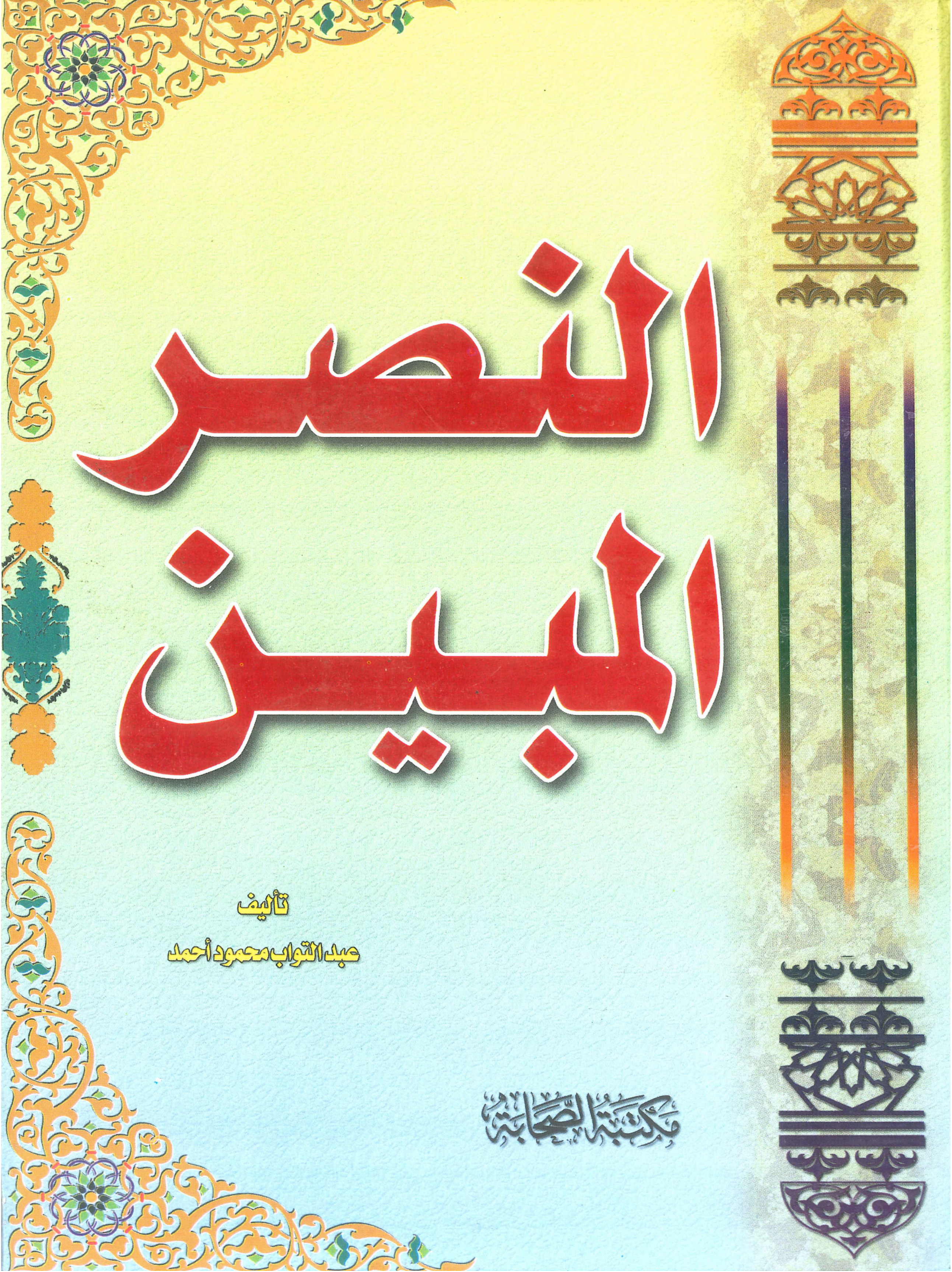
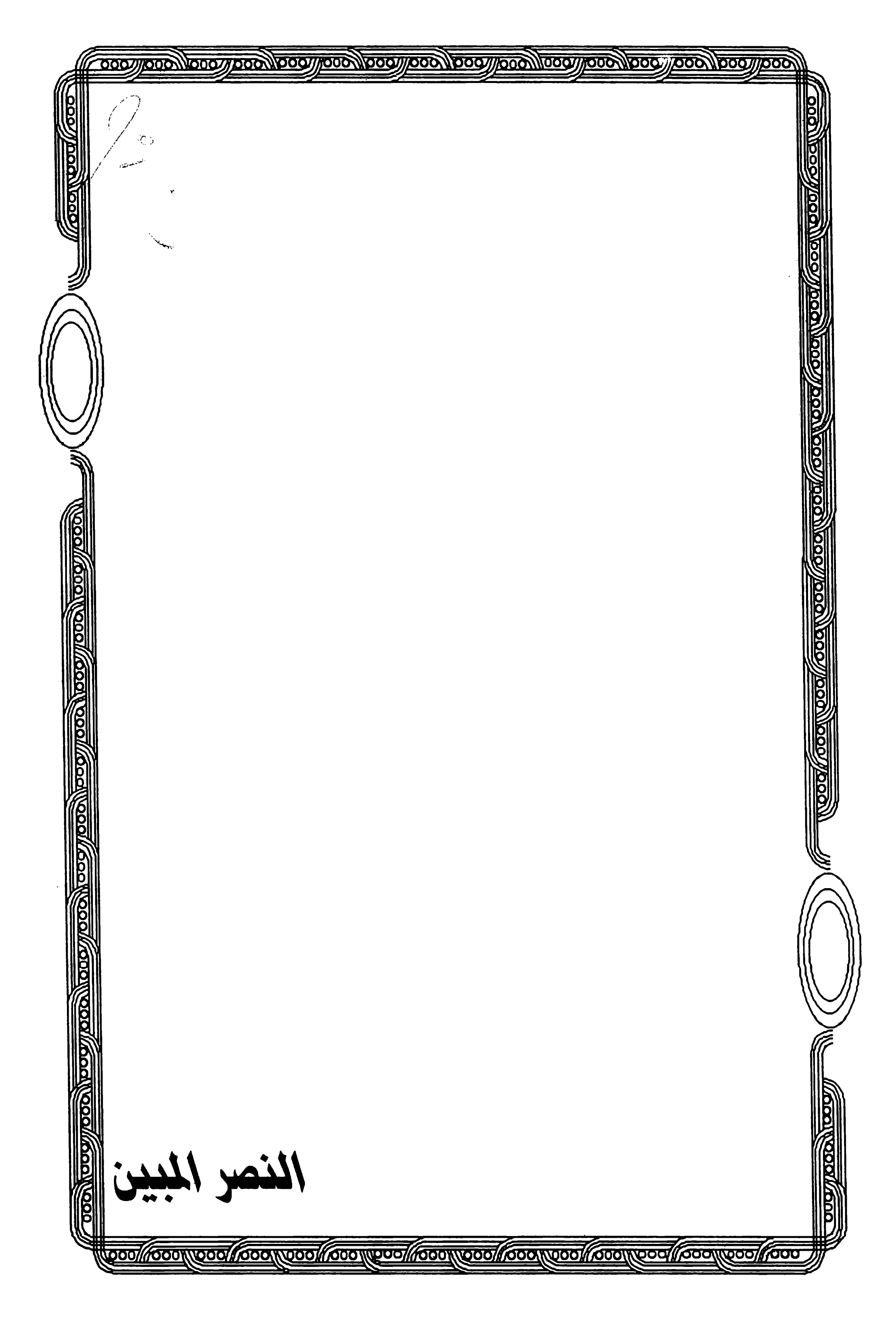


النصر المبين

تأليف

عبد التواب محمود أحمد

مكتبة الصحابة



النصر المبين

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

مكتبة الصحابة

مكتبة الصحابة: إمارات - الشارقة - ت: ٥٦٣٣٥٧٥/٠٦ - فاكس: ٥٣٧٥٤٤٤/٠٦
مكتبة التابعين: القاهرة - عين شمس - ت: ٢٤٩٢٣٨١٤ - فاكس: [illegible]



النصر المبين

تأليف

عبد التواب محمود أحمد

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة
ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى المجاهدين في سبيل الله سبحانه، إلى الشهداء الذين سقطوا في ساحات الوغى دفاعاً عن الدين وذوداً عن الكرامة، إلى جند الله الأطهار والشهداء الأبرار.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين مالك الملك ومدبر الأمر وخالق الخلق منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهذا كتاب النصر المبين أضعه بين يدي القارئ المسلم لعله يجد فيه ما يروي غلته، وخاصة أن الأمة الإسلامية تمر بأسوأ المراحل في تاريخها من الثُّبات العميق والغفلة الشديدة، فالحروب الطاحنة تدور بينهم والأمراض والمجاعات تفتك بهم والفقر يعصف بأغلبهم والتفكك والتشرذم مفروض عليهم، والأعداء يتربصون بهم الدوائر وينتقصون من أطرافهم والقدس الشريف أسير في يد عدو الله وعدوهم، كل هذا وغيره جعل قلبي يعتصره الألم وأصبحت في هم وضيق، فالأحداث التي لم أعاصرها وقرأت عنها ابتداء من سقوط الخلافة الإسلامية مروراً باحتلال القدس الشريف واحتلال كثير من الأراضي الإسلامية، والمذابح التي يتعرض لها المسلمون في كل مكان وكأن الذلة والمسكنة ضربت عليهم بعد أن كانت مضروبة على إخوان القردة والخنازير كل هذا وغيره دفعني إلى تأليف هذا الكتاب والذي قسمته إلى ستة أبواب .

الباب الأول : النصر متى وهل ؟

وبه فصلان :

الفصل الأول : متى نصر الله ؟

والفصل الثاني : هل نصرنا الله ؟

الباب الثاني : دروس وعبر

وبه فصلان :

الفصل الأول : الدروس المستفادة من حصار الكفار للمسلمين في شعب أبي طالب وكما هو معلوم فإن الحصار ديدن قديم حديث .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن الدروس المستفادة من غزوات الرسول ﷺ ؛ لتكون نبراسًا لنا في جهادنا ضد الكفار .

الباب الثالث : من صفات الجندي والقائد :

وبه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: كيفية إعداد الرجال للجهاد .

الفصل الثاني : إعداد القائد الذي يقود الأمة إلى النصر .

الفصل الثالث : القائد الرباني محمد الفاتح .

الباب الرابع : من أسباب النصر والهزيمة :

وبه فصلان :

الفصل الأول : الأسباب التي تؤدي إلى الهزيمة حتى نتلافاها لنحقق النصر .

الفصل الثاني : أسباب النصر الشرعية .

الباب الخامس : طريق وصفحات :

وبه فصلان :

الفصل الأول : الصفحات المشرقة في تاريخ أمتنا الإسلامية العظيمة .

الفصل الثاني : كيفية تحرير القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

الباب السادس : الحل والمبشرات :

وبه فصلان :

الفصل الأول : الجهاد وهو الحل الوحيد في مواجهة قوى الشر والطغيان.

الفصل الثاني : مبشرات النصر من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإرهاصات هذا العصر .

ومع كل ما يحدث للمسلمين اليوم من تشريد وطرد وقتل إلا أن هناك أملاً يحدو القلوب بقرب نصر الله، فأشد ساعات الليل ظلمة تلك التي تكون قبل بزوغ ضوء الفجر، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، فبعد حصار المسلمين في شعب أبي طالب وتشريدهم وطردهم من أرضهم والتفاف الأعداء حولهم يوم الأحزاب كل ذلك لم يفت في عضدهم، بل زادهم إيمانًا بقرب نصر الله لهم فتحقق وعد الله لهم

فهزم عدوهم ونصرهم نصراً عزيزاً وأثابهم فتحًا قريبًا وصدق الله إذ يقول : ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [غافر:٥١] . فلا يأس ولا قنوط وبين أيدينا أعظم كتاب أنزل وسنة خير رسول أرسل وصدق الرسول الكريم؛ إذ يقول : «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**» رواه الدارمي وأحمد وابن ماجه.

فيوم تتمسك الأمة بكتاب ربها وتسير على هدي نبيها حينئذ سيتحقق النصر المبين فتعود البسمة للمسلمين وتعم الفرحة المؤمنين وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[الروم:٤، ٥].

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل .

الدوحة - قطر

وكان الفراغ منه يوم الأحد

٥ - ٥ - ١٤٢٦ هـ الموافق ١٢ - ٦ - ٢٠٠٥ م

بريد إلكتروني

Abdultawwab 2004@ Yahoo.com

****

الباب الأول

النصر متى وهل ؟

الفصل الأول

متى نصر الله؟

قال سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة : ٢١٤].

لقد تردد سؤال طلب النصر من الله سبحانه على ألسنة السابقين من هذه الأمة، وذلك بعد الأخذ بالأسباب فكانت الإجابة السريعة ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، فتحقق موعود الله لهم بالنصر المبين وها نحن نردد السؤال الآن متى نصر الله؟ وذلك بعد المصائب والنكبات التي أصيبت بها أمة الإسلام على يد أعدائها من اليهود والنصارى المشركين وعبدة الطاغوت فلقد أصيبت أمتنا بأحداث مفجعة ابتداء من سقوط الأندلس مرورًا بزوال الخلافة الإسلامية واحتلال القدس الشريف، والحروب الطاحنة التي تعرض لها المسلمون في الشيشان وكسوفا وكشمير والبوسنة والهرسك والفلبين والسودان والعراق والأقليات المسلمة المضطهدة في كثير من الدول، هذا بالإضافة إلى التفكك والتشرذم الذي تعانيه أمتنا.

وما زالت الأحداث المؤلمة تتوالى على أمتنا حتى يومنا هذا فأعداء الأمس هم أعداء اليوم هدفهم واحد، ووجهتهم واحدة، وهي القضاء على الإسلام واستئصال المسلمين من جذورهم ونهب خيراتهم واحتلال مقدساتهم وتشريدهم فهم الذين حاصروا المسلمين في شعب أبي طالب، وهم الذين طردوا المسلمين من مكة واستولوا على أرضهم وأموالهم وهم الذين تمالؤوا على قتل الرسول ﷺ ولكن الله عصمه منهم، وهم الذين خانوا العهود مع المسلمين في غزوة الخندق وهم الذين ذبحوا المسلمين في بيت المقدس إبان الحروب الصليبية، وهم الذين ملؤوا دجلة والفرات بالكتب الإسلامية لتعبر عليها خيولهم إبان حروب التتار والمغول على أرض الشام، وهم الآن متمثلون في اليهود والنصارى من

أوربيين وأمريكان وعبدة أوثان من سيخ وهندوس وشيوعيين وعلمانيين، ممن لبسوا عباءة الإسلام، والإسلام منهم براء، هؤلاء هم أحفاد أبي لهب وأبي جهل وأمية بن خلف وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وإن لم يكونوا من أصلابهم ولكنهم من أبناء جلدتهم فهم الآن يذبحون المسلمين في الشيشان وكشمير ويحاصرون العديد من الدول الإسلامية باسم الإرهاب، وهم الذين وضعوا بذور الفرقة بين الإخوان ووضعوا الحدود المصطنعة لتفرقة أبناء الأمة، والمسلمون في غمرة ساهون، وفي غفلة لاهون كأنهم سكارى لا يدرون ما يحيكه الكفار من مؤامرات للقضاء عليهم فمتى يهب المارد من رقدته؟ ومتى يستيقظ من ثباته العميق؟ ومتى يخرج عن صمته المطبق ؟ .

ولكن هناك عدة أسئلة يجب أن نجيب عليها قبل أن نقول : متى نصر الله؟ لأن نصر الله إن تأخر فلا بد أن هناك خللاً يجب إصلاحه واعوجاجًا يجب تقويمه .

وأولى هذه الأسئلة التي نطرحها على أفراد الأمة كيف تنتصر أمة تركت تحكيم شرع ربها الذي ارتضاه لها واستوردت القوانين الوضعية الهزيلة ؟ لقد عاب الله على بني إسرائيل ذلك قال سبحانه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾[النساء: ٦٠]. إن المستعمرين بعد أن أسقطوا الخلافة الإسلامية وعملوا على تمزيق المسلمين إلى أحزاب وشيع جعلوا بين كل دولة وأخرى مشكلة حدودية لكي يقتل المسلم أخاه المسلم .

ولم يتركوهم إلا وقد تركوا التحكيم لشرع الله وأمروهم بتحكيم الأحكام الوضعية التي تخدم فئة قليلة من الناس دون غيرها فأصبحت وبالاً على البلاد والعباد؛ فانتشرت الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفسدت الأخلاق، وتأخرت الأمة؛ وما ذلك إلا لأنهم تركوا شرع الرحمن وحكموا شرع الشيطان.

إن الذي يصنع آلة يضع لها قانونًا تسير عليه فإن حادت عنه قيد أنملة أصابها العطب، ولله المثل الأعلى، فالله سبحانه خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم وما ينفعهم وما يضرهم، فوضع لهم قانونًا افعل كذا ولا تفعل كذا، وهذا القانون أوجده الله

في كتابه، وعلى لسان رسوله هو شرعه الحكيم وصراطه المستقيم فإن حكمناه بيننا؛ سنصبح في وضع غير الذي عليه نحن الآن، فحكم الله فيه الخلاص لهذه الأمة وفيه العدل وفيه الرحمة وفيه المساواة بين جميع الخلق، قال سبحانه : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[المائدة: ٥٠] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ألا إنها ستكون فتنة**» فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ **قال: «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المُستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العُلماء، ولا يخلقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[الجن: ١]، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»**[1]. كيف تنتصر أمة قد فعلت الكثير من نواقض التوحيد من عبادة للقبور والطواف بها، واستغاثة بالموتى وانتشار للسحر والدجل والشعوذة والأعياد والموالد، وكلها بدع ما أنزل الله بها من سلطان، فلا الرسول ﷺ ولا الصحابة الكرام فعلوها، ولا السلف الأطهار أقروها، بل كلها بدع قد استحدثت عندما بدأت الأمة تبتعد عن نور قرآنها وهدي نبيها فَضَلَّ الكثير منها وحاد عن صراط الله المستقيم والرسول ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2] . يقول ابن رجب في شرح هذا الحديث، وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث : «**الأعمال بالنيات**» ميزان للأعمال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل ما أحدث في الدين ما لم يأذن به الله تعالى ورسوله فليس من الدين في شيء[3]، كيف تنتصر أمة يعتقد بعض أفرادها بأن للكون أقطابًا يحكمونه مع الله؟ وهذا شرك تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) رواه الشيخان .

(٣) «جامع العلوم والحكم» ص (٧٦).

كيف تنتصر أمة يكرم فيها السفهاء ويسفه العلماء ويسجن المجاهد؟، انظروا للممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات والراقصين والراقصات يطلقون عليهم نجوم المجتمع وسيداته إلى غير ذلك من الألقاب مع أنهم وإن جاز التعبير فهم سقطة المجتمع وسفهاء المجتمع، كيف تنتصر أمة يسجن فيها العالم العامل ويعذب ويشرد ويقتل في كثير من الأحيان؟ وذلك لأنه صدع بالحق ونطق بالصدق ونرى المنافقين والساقطين يبجلون ويكرمون.

كيف تنتصر أمة ترى بعضًا من حكامها ينهبون أموال الشعب؟ وأصدق دليل على ذلك ما تناقلته وكالات الأنباء، أن أحد حكام إندونيسيا السابقين تقدر ثروته بمليارات الدولارات والأمثلة على ذلك كثيرة .

كيف تنتصر أمة تستحل بعض بلدانها التعامل بالربا في كثير من مصارفها المالية؟، والله يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾[البقرة: ٢٧٩]. كيف تنتصر أمة تستحل الخمور في مطاراتها وفنادقها وفي الحانات؟ بدعوى تنشيط السياحة وترى القمار يمارس علانية مع أن الله قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[المائدة: ٩١]. كيف تنتصر أمة ترى بعض بلدانها يحرمون الزواج بزوجة أخرى فيحرمون الحليلة ويحلون الخليلة؟ وترى البغاء يمارس بتصاريح، والله يقول: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[الإسراء: ٣٢] كيف تنتصر أمة ترى بعضًا من بلدانها تنتشر فيها المراقص والملاهي الليلية وتمارس فيها الرذيلة؟ وحينما يحدثك من ذهب إلى تلك البلاد تشعر أنه ذهب إلى بلد كافر، وليس إلى بلد مسلم، مع أن الحارس الذي يحرس هذه الدور الموبوءة اسمه محمد أو أحمد أو محمود . والله يقول : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[الأنعام: ١٥١].

كيف تنتصر أمة ينتشر فيها الظلم والقهر والاستعباد؟ والله يقول في الحديث القدسي:

«**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»[١]. والرسول ﷺ يقول: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»[٢].

والشاعر الحكيم يقول:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

كيف تنتصر أمة يشهر بعضهم السلاح ضد بعضهم البعض؟ والرسول ﷺ يقول: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه قد أراد قتل صاحبه**»[٣].

كيف تنتصر أمة ترى كثيرًا من أبنائها تاركين الصلاة مقترفين الذنوب والآثام؟ والله يقول: ﴿**فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: ١٠٣]. وتراهم صادين عن الحق آمرين بالمنكر ناهين عن المعروف متجاوزين لحدود الله موالين لأعداء الله يقول تباركت أسماؤه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١].

كيف تنتصر أمة ترى بعضًا من ولاة الأمر فيها يتولون الذين كفروا؟ والله يقول: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٣]. وقال تباركت أسماؤه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١]. وقد يقول بعضهم نخشى الدوائر ولهؤلاء وأمثالهم قال جل شأنه: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥٢] كيف تنتصر أمة تهمل العلم والعلماء؟ مع أننا الأمة التي سادت الأرض في يوم من الأيام يوم أن كانت الأمة

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧). (٢) رواه البخاري برقم (٢٤٤٧).

(٣) رواه مسسلم برقم (٢٨٨٨).

تكرم العلماء، ويقربهم الحكام ولكن يوم أهملت الأمة العلم والعلماء ألصق أعداؤها التهم بالإسلام ووصموه بأنه دين التخلف والرجعية مع أن الإسلام منهم ومن هذا الاتهام براء، ولو كان ذلك صحيحًا كما يقولون فاسألوا أوربا على يد من تقدمت وازدهرت صناعتها وتقدمت حضاراتها، ستكون الإجابة المنصفة حتمًا على يد العلماء المسلمين؛ فقد كانوا يرسلون أبناءهم إلى الأندلس أيام ازدهار الحضارة الإسلامية؛ ليتعلموا هناك وقد ظل الكثير من كتب علماء المسلمين تدرس في أوربا حتى نهاية القرن الثامن عشر، هذا بالإضافة إلى العقول المسلمة المهاجرة إلى هناك واسألوا علماء باكستان أليسوا مسلمين، وقد صنعوا القنبلة النووية واسألوا عن أبي القنبلة النووية الهندية سيقولون: إنه العالم المسلم أبو الكلام رئيس الهند حاليًّا، بل اسألوا العالم كله عن علماء المسلمين المهاجرين إلى أوربا وأمريكا سيقولون: إنهم بذوا أقرانهم، وقد يتأخر نصر الأمة؛ لأنها ليست في مستوى النصر، فيؤخر الله النصر قليلاً حتى يرتفع مستوى هذه الأمة، وتصبح قادرة على تحمل أعباء النصر الذي سيمنحه الله إياها إذا جاء وقته، يقول الله سبحانه: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[الحج: ٤٠] من هم يا رب ؟

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[الحج: ٤١] . **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾** . إذن ههنا نيات وعزائم في القلوب لا يطلع عليها إلا علام الغيوب .

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ هذا مستقبل **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾** ربما يوجد من الدعاة من لو مُكن في الأرض لترك بعض أمور الدعوة، وما أقام الصلاة وما آتى الزكاة، أو ربما يقوم بالصلاة ويؤدي الزكاة، ولكنه لا يقوم تمام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ربما يتنازل بعض المحسوبين على الدعوة عن بعض الأمور الهامة، ربما يتحالف مع الشيوعيين، ربما يتحالف مع علمانيين من أجل مكاسب . . هذا لا يستحق النصر .

وقد يتأخر نصر الأمة؛ لأنها ليست في مستوى النصر بالإمكانات والقدرات، فقد لا يكون لديها من يستطيعون إدارة البلدان المسلمة لو تيسر لها النصر، أو إدارة العالم لو

تمكنت من فتح العالم كله، فإذا أصبحت الأمة في هذا المستوى، وتوفرت لها بقية الأسباب؛ فإن الله جلَّ وعلا يمنحها النصر أمرًا مؤكدًا لا شك فيه ولا ريب . وقد يتأخر النصر لتمييز الصف المؤمن من المنافق بأن تتوالى الابتلاءات على المؤمنين، فتكشف حقيقة المنافقين، وتميز الصف المؤمن وتطهره من هؤلاء المندسين حتى يتميز الصف، ويصبح مؤمنًا خالصًا .

❊❊❊❊

الفصل الثاني

هل نصرنا الله ؟

لكي ينصرنا الله عزَّ وجلَّ لا بد لنا من استيفاء الشروط المؤهلة لهذا النصر ومن أعظم هذه الشروط الإيمان بالله سبحانه إيمانًا خالصًا من كل شائبة قال الله سبحانه : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة :٥].

فالمسلم يؤمن بالله بمعنى أنه يصدق بوجود الله تبارك وتعالى، وأنه فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء،ومليكه لا إله إلا هو ولا رب سواه . قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[طه:٨].

وقوله لما نادى نبيه موسى عليه السلام بشاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[طه:١٤].

والإيمان به سبحانه وتعالى يقتضي الإيمان بربوبيته لكل شيء، قال سبحانه وتعالى في الثناء على نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [فاتحة الكتاب] . وقال تعالى في تقرير ربوبيته وألوهيته ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[الدخان:٨].

وقال في التذكير بالميثاق الذي أخذه على بني آدم وهم في أصلاب آبائهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:١٧٢].

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم عند الكرب : «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**» .

والإيمان به سبحانه وتعالى يقتضي الإيمان بألوهيته للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

---

(١) «رواه مسلم» باب: دعاء الكرب، برقم (٢٧٣٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[البقرة:٢٥٥]. وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾[طه:١٤].

وكان الإمام الشافعي -رحمه الله- يقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، وكان الصديق رضي الله عنه يقول: «أنا بربي قد عرفت ربي ولولا ربي ما عرفت ربي» وكان الإمام أحمد - رحمه الله- يقول في مثل قول رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وأن الله يُرى يوم القيامة، وأنه يعجب ويضحك ويغضب ويرضى ويكره ويحب ويرى وهو فوق عرشه بائن من خلقه**»، ولكن لا نعلم كيفية النزول ولا الرؤية ولا الاستواء ولا المعنى الحقيقي لذلك، بل نفوض الأمر في علم ذلك إلى الله قائله وموجبه إلى نبيه ﷺ، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله تعالى بأكبر مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ بلا حد ولا غاية، ونحن نعلم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [(١)].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، قال صدقت: قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟: قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر «**أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(٢)].

---

(١) «منهاج المسلم» - لأبي بكر الجزائري ص (٢١).

(٢) رواه مسلم.

فإذا أردنا أن ينصرنا الله سبحانه لا بد أن ننصر الله في ذوات أنفسنا، فنراقب الله في كل حركة وسكنة ولا نتبع منهجًا غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونعد العدة التي نستطيعها حينئذ سيتنزل النصر فالنصر أمنية غالية، ولكنها لا تتحقق إلا بالصبر والمصابرة، وبذل الغالي والنفيس والسير على منهج الله، أما أن نرى بعض أبناء الأمة يقلد الغرب والآخر يقلد الشرق فيما يغضب الله سبحانه، فلم ولن يتحقق النصر ما دمنا على هذه الحالة، وأنا أعجب حينما أسمع عن حزب سياسي اسمه الحزب الشيوعي، الشيوعية الملحدة الكافرة سقطت ونحن نتمسك بها، ونسير على نهجها فهل الذين ينتمون إلى هذه الأحزاب مسلمون حقًّا؟ أم أنهم ينتمون للإسلام بالاسم فقط . فهل هؤلاء ومن هو على شاكلتهم نصروا الله أم أنهم اتبعوا الشيطان وصاروا في ركابه؟ . ومن العجب أن تسمع ممن ينتسبون إلى الإسلام، المدح والثناء على حضارة الغرب وإلصاق التخلف بالإسلام وبالمسلمين والتهكم على المتمسكين بالدين .

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الله شرط نصره للمؤمنين بالإيمان به، فإن هم وفوا بالشرط؛ كان حقًّا على الله أن ينصرهم قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١]. وقال جلَّ شأنه: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧].

****

الباب الثاني

دروس وعبر

الفصل الأول

الدروس المستفادة من أول حصار للمسلمين

إن الحصار ديدنه قديم حديث يفرضه الكفار على المسلمين للنيل منهم، ولكن المسلمين الصادقين لم يفت ذلك في عضدهم، بل لم يزدهم إلا صلابة في إيمانهم وقرب تحقق النصر على عدوهم .

ومع أول حصار تعرض له المسلمون في حياتهم وهو حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب، روي عن الزهري أنه قال: «إن المشركين اشتدوا على المسلمين أشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا الرسول ﷺ واشتد عليهم علانية، فلما رأى أبو طالب جمع بني المطلب وهاشم وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم وأن يمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول ﷺ وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا الرسول ﷺ ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل» .

فلبث بنو هشام في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعامًا يقدم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم الرسول ﷺ ، ولقد اشتد البلاء على المؤمنين وبني هاشم وبني المطلب، حتى كان الأطفال يتضاغون من شدة الجوع، وقد كانت المقاطعة كما روى ابن إسحاق كاملة فقد كانت تشمل المناكحة لا ينكحونهم ولا ينكحون منهم .

فما أشبه الليلة بالبارحة، فالكفار اليوم أحفاد أبي جهل، وأبي لهب يضربون الحصار على بعض الشعوب الإسلامية، مرة بحجة الحفاظ على السلام والأمن العالميين، ومرة

بحجة أن هذه الشعوب تصدر الإرهاب، ولكن الهدف الحقيقي هو تركيع هذه الشعوب والقضاء عليها، فمتى يدرك المسلمون هذه الحقيقة المرة، وللأسف الشديد نجد أن أول من يستجيب لفرض هذا الحصار على المسلمين، هم المسلمون أنفسهم .

والسؤال هنا، كيف خرج الرسول ﷺ وصحابته من هذه المحنة؟ لقد خرج الرسول ﷺ وصحابته الكرام من محنة الحصار أشداء أقوياء، لم يهابوا شيئًا، وهذا شأن العظماء دائمًا، وهذا الذي جعل بعض العظماء من قريش تلين قلوبهم، يقول الإمام محمد أبو زهرة : «إن تلك القطيعة فطرت قلوبًا مشفقة نحو الإسلام، وأوضحت ظلم الباطل لأهل الحق، وأنهم إذا أعياهم البرهان بالغوا في الإعنات، وأن الناس في البلاد العربية إذ يتسامعون بهذه القطيعة سيتعرفون سببها ويتذاكرون أمرها، ويحكمون بالشطط على مرتكبيها فتشيع حقيقة الإسلام» تنتشر بين الناس، والنبي ﷺ لا ينثني عن بيان وتلاوة القرآن المشرق بنوره وحججه وشرف نسبته إلى الله تعالى، الذي يخاطب به الخليقة وينادي به الفطر المستقيمة .

لذلك كان لا بد من نقض الصحيفة؛ لأنها لم تؤدِ إلى غرض مقصود، ولو كان مثل غرض أبي جهل، ولم تمنع الدعوة من أن تذيع بين العرب الأدنين منهم، والبعيدين عنهم، فكما كانت محاولة كتم الدعوة كان بزوغها وظهورها وانبثاق معينها وإشراق نورها.

فهل يعي المسلمون الآن الدرس جيدًا فيقفوا بجوار إخوانهم المحاصرين والمضطهدين في كافة بقاع الأرض، ولا يقفوا مكتوفي الأيدي يشجبون ويندوون والمسلمون يذبحون ذبح الخراف، ولا يحرك فيهم ساكنًا. لقد تحرك المطعم بن عدي وهشام بن عمرو ابن الحارث، وزمعة بن الأسود، وزهير بن أمية، وأبو البختري، وهم على دين قومهم وعملوا على نقض الصحيفة الجائرة وفك الحصار عن المسلمين، بينما يشارك المسلمون الآن أمة الكفر في ضرب الحصار على إخوانهم أهذا من الحق والعدل يا أمة الإسلام ! .

الدروس المستفادة من الحصار:

١- إن الكفار يعملون في كل وقت وحين على إخماد جذوة الدعوة الإسلامية،

وإطفاء نورها، وذلك بكافة الوسائل من حصار وتهجير وتشريد وطرد وتعذيب وقتل وتدمير، كما هو الحاصل الآن في فلسطين والشيشان، وقبل ذلك في كسوفا والبوسنة والهرسك وغيرها .

٢- إن الدعوة تحتاج إلى صبر وثبات وعزيمة قوية، وهذا ما فعله الرسول ﷺ ، وصحابته الكرام حين أكلوا ورق الشجر وربطوا على بطونهم الحجارة من شدة الجوع، ولم يضعفوا، ولم يستكينوا، بل زادهم ذلك قوة في الإرادة على تحمل مشاق الدعوة، وهذا هو المطلوب من شباب الصحوة اليوم أن يكونوا مثل أسلافهم .

٣- إن الحصار لا يضرب إلا من القوي على الضعيف، وهذا يعطينا درسًا أن نكون أقوياء دائمًا؛ حتى لا يستطيع الأعداء النيل منا .

٤- إن صاحب الحق سوف ينصره الله ويسخر له من يقف بجواره، حتى ولو كان من الكفار أنفسهم، كما فعل النفر الخمسة من قريش الذين نقضوا الحصار الظالم الذي ضربته قريش على الرسول وصحابته .

٥- إن الباطل مهما قويت شوكته فهو ضعيف أمام قوة الحق وصلابته فإن النصر مع الصبر وإن مع العسر يسرًا .

٦- الأخذ بأسباب العلم والتقدم حتى لا نحتاج شيئًا لا يوجد إلا عند أعدائنا .

٧- التكامل بين الدول الإسلامية والتعاون فيما بينها وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك في جميع المجالات، حتى وإن ضرب الكفار علينا حصارًا فلا يستطيعون النيل منا .

****

الفصل الثاني

من الدروس والعبر من غزوات الرسول ﷺ

إن الأمة الإسلامية لها ماض عريق، ومستقبل مشرق إن شاء الله، والأمة في سيرها نحو العزة والكرامة، والتمكين في الأرض تأخذ من ماضيها العريق زادًا لا ينفد، ومعينًا لا ينضب لغدها المشرق وليس هناك أفضل من سيرة المصطفى ﷺ . لذلك أوردت في هذا الفصل دروسًا وعبرًا من غزوات الرسول ﷺ ؛ لتستلهم الأمة من سيرته ﷺ في جهاده ضد قوى الكفر والطغيان زادًا في مواجهتها للكفار الذين يريدون استئصال شأفتها بشتى الطرق، ولكن هيهات أن يتحقق مرادهم فإن كانت الأمة مصابة اليوم بالوهن فهي لن تموت، ولكن بالعودة إلى الله عز وجل سوف ترجع للأمة عزتها وكرامتها وسيفيق المارد من رقاده ويدب النشاط فيه من جديد .

أولاً: غزوة بدر الكبرى :

من المعروف أن الرسول ﷺ لم تقتصر مهمته كنبي على الدعوة فقط، وإنما جمع معها الجهاد في سبيل الله عز وجل لإعلاء كلمة الحق ونشر دين الله عز وجل، حيث إن قوى الشر والطغيان وقفت للدعوة الإسلامية بالمرصاد فعمل المشركون بكل ما أتوا من قوة على الصد من دعوة الإسلام ومحاربة المسلمين؛ لذا نجد المسلمين تصدوا لجحافل المشركين للدفاع عن الدعوة ومقاومة المعتدين .

الدرس الأول : إضعاف العدو اقتصاديًا :

لقد كانت قريش تسيطر على مكة مهد الوثنية، ومحط أنظار الجاهلية، وكان مصدر قوتها في تجارتها بين مكة والشام، فرأى الرسول ﷺ أن قريشًا لا تكف عن معارضة دعوته، والسعي في إلحاق الأذى به، وبمن آمن معه إلا إذا ضعفت شوكتها، ولا يتأتى ذلك إلا بإضعافها أولاً في ثروتها، فيسهل عليه بعد ذلك أن يضعفها في قوتها الحربية، وهذا ما تم له ﷺ . ونحن المسلمون اليوم يمكن لنا -إذا توفرت لنا الإرادة القوية

والعزيمة الصلبة- أن نضعف أعداءنا اقتصاديًا، ولكن مما يدمي القلوب أننا نرى الأعداء يحاربون المسلمين بأموالهم التي يستثمرونها **في بنوك** الغرب الربوية، والتي وصلت إلى أكثر من (٦٠٠) بليون دولار، هذا هو الرقم **المعلن، دعك** عن الأموال التي تسرق من خزانة الدول الإسلامية وتذهب إلى حسابات **سرية في بنوك** سويسرا وغيرها . وكان من الأجدر بهؤلاء المستثمرين أن يستثمروا أموالهم **في البلاد الإسلامية**؛ ليعود النفع العاجل والآجل عليهم وعلى أمتهم، كما يمكن للأمة مقاطعة **بضائع الكفار**، والتي يمكن الاستغناء عنها، واستبدالها بمنتجات إسلامية، والاعتماد على **أنفسنا** في الزراعة والتجارة والصناعة، ولدى الأمة الإسلامية من الطاقات البشرية التي لو استغلت أفضل استغلال لتفوقنا على دول الشر والطغيان .

الدرس الثاني : مبدأ الشورى :

حرص النبي ﷺ على استشارة أصحابه في الخطة السليمة التي ينبغي اعتمادها لحيازة النصر، وقد تم له ما أراد صلوات ربي وسلامه عليه . والله تبارك وتعالى قد أمر نبيه أن يشاور المؤمنين قال جل شأنه : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[آل عمران:١٥٩]. وأرسى الله سبحانه هذا المبدأ فقال: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [الشورى:٣٨]. فأين نحن اليوم من هذا المبدأ العظيم؟ لقد فقد مما جعل الطغاة يستبدون برأيهم وكان من نتيجة ذلك الخراب والدمار . لأن المستبد برأيه لا يعبأ بما يتخذه من قرارات تجر على الأمم والشعوب من الويلات ما لا يعلمه إلا الله عز وجل. وما نراه وما نسمعه ونشاهده لهو أكبر دليل على ما ذهبنا إليه . فمتى يطبق هذا المبدأ الإسلامي العظيم؟!!

الدرس الثالث : القوة المعنوية :

لقد كان المسلمون في هذه الغزوة أقل عددًا وعدة من المشركين، بل كان التفاوت بين العددين مما لا يتوقع معه النصر للمسلمين بحساب القوى العسكرية، غير أن المسلمين قد

اعتدوا بقوة فائقة هي قوة الإيمان والعقيدة والمبدأ السليم، فانتصروا ودل هذا الانتصار على أن القوة المعنوية تفوق القوة المادية، وبها تيسر النصر للعدد القليل على العدد الكثير، وصدق الله إذ يقول: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]. فالقوة المعنوية لها أكبر الأثر في تحقيق النصر كما رأينا، واليهود الآن يستخدمون ذلك السلاح ويوظفونه أفضل توظيف لإحباط القوة المعنوية لدى المسلمين، وكان من الواجب على إعلامنا بدلاً من الانشغال بالفنان الفلاني والراقصة العارية من الملابس والأخلاق، أقول: كان من الواجب عليهم مجابهة هذه الحملات وبث الخوف والرعب في قلوبهم، ونقول لهم: جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، فنحن لا نحارب بكثرة عدد ولا كثير عدة بقدر ما نحارب بقوة عقيدة فلا يأس ولا قنوط ما دمنا متمسكين بكتاب ربنا ومتبعين لسنة نبينا ومقتفين لأثر الصحابة الأطهار وسائرين على درب السلف الأبرار فإما النصر وإما الشهادة .

الدرس الرابع : سمو الغاية :

إن الذين حاربوا مع النبي ﷺ كان يمازج نفوسهم اليقين بأنهم في حربهم هذا إنما يحاربون في سبيل دينهم لا في سبيل أنفسهم، وإنهم يدافعون عن حق مقدس لهم فإذا ماتوا في هذا السبيل فهم يلقون الله شهداء ويفوزون بالجنة، التي وعدوا بها، فينبغي علينا أن نقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله، لا في سبيل تحقيق مكسب دنيوي رخيص .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال أعرابي للنبي ﷺ الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» [(١)] .

الدرس الخامس : إنسانية المقاتل المسلم :

رأى النبي ﷺ أن أجسام القتلى لها حرمة، وإن كانوا من الأعداء فقد ثبت أنه ﷺ قضى نهاره يوم بدر يجمع قتلى بدر من المشركين ويدفنهم في قليب بدر. وذلك عمل جليل ومبدأ إنساني كريم قلما تجد له مثيلاً عند غير المسلمين فيما وقع من الحروب في مختلف العصور والأزمان، يوم كانت أجسام القتلى تظل في ساحة المعركة نهبًا

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨١٠).

لوحش البر وطير السماء، وكان المتنصرون في بعض الحروب السابقة يمثلون بالقتلى فيشوهون جثثهم ويقطعونها ويحرقونها في بعض الأحيان، فتنبعث منها الروائح الكريهة وتسبب انتشار الأمراض الفتاكة .

أين دعاة حقوق الإنسان الذين يتشدقون بميثاقهم الهزيل من هذا المبدأ الإسلامي العظيم الذي أرساه رسول الإنسانية محمد ﷺ . ونحن في حربنا ضد الأعداء لا ينبغي لنا التمثيل بجثث الأعداء بغرض إيقاع الغم في قلوبهم .

الدرس السادس : إيقاع هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم :

إن الله تبارك وتعالى قد أعز جنده المؤمنين بهذه الغزوة، وأوقع هيبة المسلمين في النفوس فأخذوا يهزمون الجيوش، ويمهدون السبل لوحدة شبه الجزيرة العربية، ولهذه الغزوة أكبر الأثر في تاريخ المسلمين، ولا تزال ذكرى النصر الذي أصابه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم وتضحياتهم العظيمة وبسالتهم النادرة ماثلة في الأذهان تذكر بنعمة الله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين قال سبحانه : ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران:١٢٣]. فواجب المسلمين اليوم أن يستلهموا من هذه الغزوة العظيمة العظات والعبر، وهم يواجهون جحافل الكفر فيرفعون راية الجهاد عالية خفاقة حتى تسترد الأرض السليبة وتعود العزة والمنعة لهم، وتضرب الذلة والصغار على عدوهم .

ثانيًا : الدروس والعبر من غزوة أحد :

الدرس الأول : الحرب سجال :

لا تكون الغلبة في الحروب لمن ينتصر في أول معركة فالحرب سجال والنصر الحقيقي لمن يحالفه الفوز في النهاية، وهو يدافع عن مبدأ شريف وعقيدة صحيحة، لا يبالي في سبيل الذود عنها ونصرتها خوض المعارك والمهالك . فأعداء الأمس هم أعداء اليوم، غايتهم واحدة وهدفهم واحد هو استئصال شأفة المسلمين والقضاء عليهم، فواجب المسلمين التهيؤ والاستعداد لمواجهتهم، وعدم الغفلة عنهم، وليلقنوا الأعداء درسًا أنهم ليسوا لقمة سائغة يسهل ابتلاعها . فمهما طال الليل وادلهمت الخطوب فالنصر قادم والحق ظاهر، ولو كره الكافرون .

الدرس الثاني : استعداد القائد:

وقف النبي ﷺ موقف القائد الحازم البصير فقد هيأ رجاله للحرب واختار من بينهم من يحسنون الرمي بالنبال؛ لكي يحموا ظهورهم؛ لئلا يؤتوا من ورائهم .

فالقادة اليوم يجب أن يتعلموا الدرس من رسول الله ﷺ ويعدوا الخطط التي يستطيعون بها الذود عن حياض المسلمين ورد كيد المعتدين .

الدرس الثالث : النظام والطاعة :

إن من عوامل النصر المحافظة على النظام والطاعة لأوامر القائد، فأما النظام فورد في سورة الصف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[الصف:٤]، وأما الطاعة فوردت في سورة محمد في قوله تعالى : ﴿**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ**﴾ [محمد:٢١]، فلو أن الرماة حافظوا على أماكنهم التي سماها لهم رسول الله ﷺ ؛ ما أصاب جيش المسلمين ما أصابه من خسارة في هذه المعركة .

الدرس الرابع : حزم القائد وشجاعته :

إن من أقوى عوامل النصر رباطة جأش القائد، وعدم تسرب اليأس إليه كما فعل النبي ﷺ فقد كان لوقوفه في المعركة موقف الشجاعة والبطولة والثبات أثر حاسم في إعادة النظام إلى صفوف المسلمين، وعودة الذين تضعضعوا إلى الاشتراك مع من ثبت من المهاجرين والأنصار في حماسة وثبات . فما أحرى الأمة إلى وجود قائد شجاع يلم شمل الأمة، ويجمع شتاتها كما فعل النبي ﷺ .

الدرس الخامس : رفع المعنويات وإعادة الثقة للنفوس: فلقد رأى النبي ﷺ بفكرة الثاقب ورأيه السديد، بعدما حل بجيش المسلمين من الإعياء والارتباك أن يطارد جيش المشركين في عودته لمكة، ولما علم المشركون بمطاردة النبي ﷺ لهم أوجسوا خيفة أن يكون قد تبعهم بمدد جديد فأخذوا السير عائدين إلى مكة حرصًا على ما أصابوه في أحد من نجاح. فكان لشجاعته ﷺ ومطاردته للأعداء أكبر الأثر في إعادة الثقة لنفوس أصحابه وإيقاع الخوف في نفوس أعدائه . وهكذا ينبغي أن يعمل القائد المسلم على بث الثقة في نفوس جنوده؛ ونشر الرعب والخوف في قلوب أعدائه بشتى الصور، فيعمل على تحطيم معنويات الأعداء حتى يسهل له تحقيق النصر عليهم .

ثالثًا : الدروس والعبر من غزوة الخندق :

الدرس الأول : استخدام الوسائل الحديثة في الحرب :

القائد الحازم متى رأى خصمه قويًا يعمل بكل الوسائل على إضعاف قوته، وكسر شوكته؛ كي يتغلب عليه ويتخلص من شره. وقد يستخدم في ذلك وسائل حديثة لا عهد للعدو بها، كما فعل الرسول ﷺ، حينما عمل بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه، وحفر الخندق ففوجئت قريش بهذا الخندق، وكانت تجهله كوسيلة حديثة للدفاع فوقع الارتباك في خططها وخاب تدبيرها .

وهذا ما لا بد منه اليوم فيجب علينا استخدام الوسائل الحديثة في الدفاع سواء كانت في البر أو البحر أو الجو، ولدينا العلماء الأكفاء الذين يستطيعون بعون الله سبحانه اختراع الأسلحة التي تفوق ما عند الأعداء، فإذا ما فكر الأعداء في غزونا وجدونا محصنين بدفاعات ترد كيدهم، ونحن لسنا أقل من أمريكا أو أوروبا أو حتى الهند، التي لديها قوة دفاع صاروخي يحمي أراضيها، والعالم يشهد لعلماء المسلمين بتفوقهم والدليل على ذلك أن أبا القنبلة النووية في الهند رجل مسلم اسمه «أبو الكلام»، ولكن هؤلاء العلماء لا يجدون من يهتم بهم، وبما لديهم من علوم في خدمة الأمة، فهاجروا إلى أوربا وأمريكا وانشغلت الأمة باللاعب الفذ والمطرب المشهور والراقصة المغمورة فتقدم العالم وبقينا نحن في ذيل القافلة .

الدرس الثاني : تعاون القائد :

على القائد في الميدان أيًا كانت رتبته أن يتعاون مع الجند في القيام بالأعمال الشاقة عندما تدعو الضرورة إلى ذلك، فالرسول الكريم ﷺ لما رأى الضرورة تدعو إلى الإسراع في حفر الخندق، أقبل هو بنفسه على الحفر وحمل التراب مع أصحابه فكان ذلك حافزًا لهم ومشجعًا فتمكنوا من إتمام الحفر في ستة أيام، وهذا التعاون قد وجدنا بعضه في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر فحققنا به النصر، وهذا التعاون ينبغي أن يكون موجودًا بين القائد وجنده سواء في أوقات الحرب أو في السلم.

الدرس الثالث : الحرب خدعة :

أثبت التاريخ أن الخداع كان عاملاً قويًا، بل كثيرًا ما كان عاملاً حاسمًا في إحراز

النصر. فلما عرض نعيم بن مسعود مساعدته على الرسول الكريم ﷺ، وهو رجل فرد لا يرجى منه كبير عون في الحرب استعان به؛ ليوقع الفتنة بين اليهود والأحزاب فتخاذل بذلك أعداء الله، وانكفؤوا عن المدينة راجعين. وكان لفك الحصار فرج كبير يضارع النصر للمسلمين. فالخداع والتمويه أمران مهمان لمواجهة الأعداء، والجيوش الحديثة تستخدم هذا السلاح الفعال الذي لا يقل أهمية في تحقيق النصر عن استخدام الطائرات والصواريخ فينبغي للأمة ألاَّ تغفل هذا السلاح الفعال.

الدرس الرابع: بعد النظر:

يدل على بعد نظر القائد واحتياطاته للطوارئ تأمينه للخطوط الخلفية وضمان وسائل الإعاشة، كما فعل الرسول ﷺ عندما أدرك أن الحصار قد يطول، وأنه لا بد محتاج إلى الميرة وإلى تأمين ظهره من مباغتة العدو؛ لهذا تعاهد مع بني قريظة، حتى لا ينحازوا إلى الأعداء، ويكون هو في مأمن من قبلهم وتأتيه الأقوات عن طريقهم.

الدرس الخامس: الشجاعة:

للروح المعنوية والشجاعة أثر عظيم في ثبات المقاتلين وإحراز النصر، فإن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة الخندق نازل عمرو بن ود، وهو البطل المعروف في الجاهلية، واستطاع بقوة إيمانه وشجاعته أن يتغلب عليه ويقتله، وكان ذلك سببًا في ارتداد أولئك الذين تمكنوا من اقتحام الخندق؛ خوفًا من أن يلاقوا مصير عمرو بن ود.

وهذا ما فعله أحد جنود مصر البواسل في معركة العاشر من رمضان حينما استطاع بتوفيق الله، وتأييده من تدمير عشرين دبابة للعدو الصهيوني ففت ذلك من عضدهم وأنزل الرعب في قلوبهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وتم أسر أحد قوادهم المعروفين والمسمى بـ«عساف ياجوري».

الدرس السادس: إشراك النساء في المعركة:

لقد كان لمساهمة النساء في الدفاع عن العقيدة والذود عن الأوطان الأثر القوي في إذكاء روح المقاومة، كما فعلت صفية بنت عبد المطلب حينما حملت على اليهودي، وأردته قتيلاً، ولكن ليس المطلوب من نسائنا اليوم ركوب الطائرات، وإنما المطلوب منهن

تربية الجيل الذي يستطيع الدفاع عن حياض الأمة، وإسعاف الجرحى في المستشفيات والتبرع بالدم فهذا كله جهاد .

الدرس السابع : التوكل على الله بعد الإعداد المادي يوجب النصر في الملمات : يجب على القائد أن يتحلى بالصبر، وبعد أن يستنفذ جميع وسائله المادية للتغلب على خصمه يلجأ إلى الله حتى يمده بعونه، والرسول ﷺ لم يكن تجاه حشود الأحزاب الضخمة يعتمد في مقاومتها على ما عنده من الوسائل المادية وحسب، وإنما جُل اعتماده على الله الذي اختاره رسولاً ينشر دينه ويذيع أحكامه في الأنام متيقنًا في أعماق نفسه أن الله لا بد أن يوجد له من الضيق مخرجًا ومن العسر يسرًا .

فلما طالت مدة الحصار على المدينة وأقبل الشتاء بعواصفه وبرده وأنوائه لم تقو الأحزاب على الصمود أمام هذا المدد الإلهي، فدخل الرعب في قلوبهم واعتقدوا أن المسلمين لا بد خارجون إليهم حتى سمع بينهم من يقول: إن محمدًا قد بدأكم بشر النجاة، وكانت تلك إحدى الوسائل التي كشف الله تعالى بها الغمة عن المسلمين .

وهذا من الواجب على المسلمين أن يفعلوه دائمًا فالناصر والمعين هو الله سبحانه، وقد اتضح هذا الأمر جليًا في هزيمة ثاني أقوى قوة في الأرض «الاتحاد السوفيتي سابقًا» على يد المسلمين الأفغان الذين كانوا لا يملكون من الأسلحة سوى ما كانوا يغنمونه من الروس فالتوكل على الله بعد الإعداد المادي قد أوجب لهم النصر .

رابعًا : دروس وعبر من غزوة بني قريظة :

الدرس الأول : التردد من صفات اليهود :

اليهود قوم مترددون لا يستقرون على رأي، معمية عن الحق أبصارهم وبصائرهم؛ إذ لما أن حاصرهم الرسول ﷺ وأصحابه وقف أحد زعمائهم كعب بن أسد يخيرهم واحدًا من ثلاث :

١- إما أن يتابعوا محمدًا ﷺ لا سيما وقد تبين لهم أنه النبي المرسل.

٢- وإما أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم بأيديهم ثم يخرجوا للمسلمين .

٣- وإما أن يصيبوا من المسلمين غزوة في ليلة السبت، فلم يجيبوه إلى واحدة مما يدلنا على صفة التردد لا الحزم المتفشية في نفوسهم .

وهذا واضح الآن فبعد العمليات الاستشهادية التي نفذتها المقاومة اللبنانية ضدهم في جنوب لبنان، نجدهم منقسمين على أنفسهم ما بين مؤيد ومعارض للانسحاب من جنوب لبنان إلى أن خرجوا أذلة صاغرين، وهكذا نجد في كل موقف من المواقف نجد هذه الصفة القبيحة واضحة جلية في تصرفاتهم، وإذا استغل المسلمون هذه الصفة الذميمة في اليهود لأمكن لهم أن يوقعوا بهم الهزيمة الساحقة بإذن الله .

الدرس الثاني : طمع اليهود بحلم الرسول الكريم ﷺ :

إن اليهود وإن كانوا يرفضون متابعة الرسول الكريم غير أنهم كانوا لا ينكرون حلمه وعفوه وتسامحه، ولذا فقد نزلوا على حكم الرسول ﷺ طمعًا في أن يعفو عنهم أو يجليهم أو يتخذ قراراً لينًا بشأنهم، ونسوا أنهم خذلوا الرسول ﷺ ونقضوا عهده في ساعة الشدة وسبوه سبًّا قبيحًا، وسبوا سعدًا بن معاذ رضي الله عنه حينما ذهب يذكرهم عهدهم مع الرسول الكريم، ولكن الرسول وقد عرف ما عرف من حقدهم وغدرهم وعدم استجابتهم للحق قضى بحكم الله تبارك وتعالى فيهم، وهو القتل والأسر . وهذا ما يجب أن نعاملهم به الآن؛ لأنهم قوم سوء لا تجدي معهم إلا الشدة .

الدرس الثالث : الخيانة من صفات اليهود :

إن الخيانة ونقض العهد من طبع اليهود فلا يأمن المؤمنون جانبهم أو يركنوا إليهم فتلك خلة معروفة عنهم منذ القدم، فلا يقول المسلمون اليوم نحن قد وقعنا معهم اتفاقيات سلام، وأنهم حملان وديعة فمن يعتقد ذلك فقد كذب الله ورسوله فالله قد نعتهم بأحط الصفات قال سبحانه : ﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة:٢٧]. فهم ذئاب شرسة متعطشة لدماء المسلمين يخونون الأمانة وينقضون العهود . بل اسألوا من وقعوا معهم اتفاقيات سلام كم من البنود نفذوها، والإجابة عن ذلك واضحة لا لبس فيها؛ لأنهم يريدون كل شيء ولا يعطون أي شيء.

خامسًا : دروس وعبر من غزوة مؤتة :

الدرس الأول: بذل الجهد :

لقد بذلت القوات المسلحة المسلمة وقت ذاك كل جهدها في المعركة، وأبدت ضروبًا من الشجاعة والاستبسال وهذا هو المطلوب من المسلمين دائمًا .

الدرس الثاني : القائد هو القدوة :

على القائد في المعركة أن يضرب بنفسه المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام أمام جنوده؛ لرفع معنوياتهم من جهة، وللحصول على أفضل النتائج في المعركة من جهة أخرى. وهذا ما فعله القواد الثلاثة عبد الله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، وزيد ابن حارثة، حيث كانوا مثلاً أعلى في الشجاعة والاندفاع إلى الشهادة، شأنهم شأن أي جندي عادي من جنودهم، أي أنهم لم يديروا المعركة من وراء الجند في قيادة بعيدة عن ساحة المعركة كما يفعل القادة اليوم .

الدرس الثالث : تضليل العدو :

لقد خدع سيف الله المسلول خالد بن الوليد الأعداء، وذلك بتغيير كتائب الجيش ليلاً مما أوقع الرعب في قلوب الرومان، وقد ظنوا أن المسلمين وصلتهم إمدادات جديدة .

وفي الحرب الحديثة أصبحت هناك وسائل متطورة لتضليل العدو منها: صنع هياكل وهمية لدبابات ومدافع وبناء منشآت وهمية ومستودعات مليئة ببعض النفط حتى إذا ضربها العدو ظنها مخازن للأسلحة، وهناك وسائل أخرى يعرفها أهل العلم والاختصاص.

سادسًا : دروس وعبر من فتح مكة :

الدرس الأول : المباغتة :

حرص النبي ﷺ ألا يكشف نياته لأحد عندما اعتزم الحركة إلى مكة، وبقيت نواياه سرًّا مكتومًا حتى أنجز هو وأصحابه جميع استعدادات الحركة، وحتى وصل ما يطلق عليه في عرف العسكريين المعاصرين «الأمر الإنذاري» إلى كافة المسلمين خارج المدينة وداخلها لإنجاز التحضيرات . وهكذا يجب على جيش المسلمين اليوم أن يباغت العدو

حتى لا يستطيع المقاومة كما فعل الرسول ﷺ وصحابته الكرام، حيث أذهلت المباغتة قريشًا فلم تعرف ما تصنع إلا أن تلجأ إلى التسليم دون قيد أو شرط .

الدرس الثاني : المعلومات :

استطاع المسلمون أن يعرفوا من وفد بني خزاعة أمر نقض الهدنة، واستطاع معرفة تردد قريش في قراراتها . أما قريش فلم تستطع الحصول على أي نوع من المعلومات .

وينبغي للمسلمين اليوم قبل بدء أي معركة معرفة عدد وعُدد العدو حتى يتمكنوا من الانتصار عليهم، وهذا ممكن عن طريق المعلومات الاستخباراتية سواء من الأقمار الصناعية أو عن طريق طائرات التجسس بدون طيار أو عن طريق الأفراد .

الدرس الثالث : المعنويات :

لم ترتفع معنويات المسلمين في تاريخ غزواتهم كما ارتفعت في الفتح الأعظم، ولا سيما المهاجرين الذين كانوا قد تركوا مكة فرارًا بدينهم فعادوا إليها اليوم ليستنقذوها من أيدي المشركين . فالمسلمون لا بد وأن تكون معنوياتهم دائمًا مرتفعة؛ لأنهم يجاهدون في سبيل الله لا في سبيل دنيا ولا سلطان، ولا مال فهم يجاهدون لأجل غايتين إما النصر وإما الشهادة .

الدرس الرابع : التواضع :

كان تواضع الرسول ﷺ درسًا عمليًا لكل قائد منتصر وصدق الله إذ يقول: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب: ٢١] فإنه ﷺ حين فتح الله له مكة ازداد انحناء على رحله حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته؛ خشوعًا وترقرقت الدموع في عينيه تواضعًا وشكرًا لله .

سابعًا : دروس وعبر من غزوة حنين :

الدرس الأول : القيادة :

كان موقف المسلمين في هزيمتهم عصيبًا للغاية، ولولا قيادة الرسول ﷺ حيث ثبت مع عشرة من أصحابه فقط، واستطاع أن يجمع مائة من المسلمين، ثم يحمي بهم انهزام المسلمين، ثم يقوم بالهجوم المقابل بعد انكسار حدة هجوم المشركين، لولا ذلك كله لكادت الكارثة العظمى تحل بالإسلام والمسلمين .

إن نتيجة معركة حنين قد كسبها الرسول ﷺ بعون من الله، وهكذا ينبغي للقائد المسلم أن يكون حكيمًا في قيادة جيشه؛ حتى لا ينكشف جيشه أمام الأعداء .

الدرس الثاني : المعنويات :

لم تكن معنويات المشركين عالية، فقد اضطر قائدهم مالك ابن عوف إلى استصحاب النساء والأطفال والأموال مع المقاتلين حتى لا يفر أحد من القتال، في حين أن معنويات المسلمين كانت عالية إلى حد الغرور فأراد الله أن يذكرهم بأن القلة والكثرة من غير نصر الله لا تكفي وحدها [1].

الدرس الثالث : صحة العقيدة :

لم تكن معارك المسلمين مع المشركين معارك عدد أو عدة، بل معارك إيمان وعقيدة، وهكذا ينبغي للمسلمين اليوم أن يعلموا علم اليقين أن النصر من عند الله، وذلك بعد إعداد العدة .

ثامنًا : دروس وعبر من غزوة تبوك :

الدرس الأول :

إن هذه الأمة أمة جهاد ومجاهدة وصبر ومصابرة، ومتى ما تركت الجهاد ضربت عليها الذلة والمسكنة .

الدرس الثاني :

إن لله كتب العزة والقوة لهذه الأمة متى ما صدقت وأخلصت، فها هي دولة الإسلام الناشئة تقف وجه الكفر وتهزمه وصدق الله إذ يقول : ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[المؤمنون: ٥٢].

الدرس الثالث :

إنه ما تسلل العدو لاحقًا وسابقًا إلا من خلال الصفوف المنافقة، ولم يكن التفرق والضعف إلا من أصحاب المسالك الملتوية، وصدق الله إذ يقول : ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: ٤٧].

الدرس الرابع :

إن مواجهة الأعداء لا يشترط فيها تكافؤ القوى، يكفي أن المؤمنين يعدون ما استطاعوا من قوة، ويثبتون ويصبرون وعندها ينصرون فهذا عبد الله بن رواحة يقول: ما نقاتل الناس بعدد ولا عدة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به .

الدرس الخامس :

إن الحق لا بد له من قوة تحرسه فإذا لم تكن هناك قوة تدافع عنه فسوف يجد الأعداء فرصة للانقضاض عليه، وهذا قد وضح جليًا خلال حروب المسلمين مع أعدائهم .

الدرس السادس :

إن الأعداء لن يركنوا إلى السكون ولن يصرفوا أنظارهم عن أمة محمد سابقًا ولا لاحقًا، فهم يعدون العدة دائمًا لاقتلاع هذه الأمة من جذورها وصرفها عن إسلامها .

الدرس السابع :

إن العقيدة أقوى في قلوب أصحابها من ألف مهند .

الدرس الثامن :

الحل في الجهاد ويكون بالنفس والمال والسنان .

كان ما ذكرناه آنفا الدروس والعبر التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون اليوم فعلى المسلمين أن يعضوا عليها بالنواجذ، ويعلنوا حي على الجهاد تلك الكلمة التي غابت عن قاموس الأمة الإسلامية فمتى تطلق؟ ومن يطلقها ؟ .

وللإجابة عن ذلك نقول: إنها لن تطلق إلا بعد أن تتوحد الأمة تحت خلافة إسلامية راشدة تعيد للأمة ذكريات الفتوحات الإسلامية التي قام بها أجدادهم من أمثال: خالد ابن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص و غيرهم من القادة العظام .

ينبغي للأمة أن تنسى خلافاتها وتنادي بالوحدة بدلاً من التشرذم والتفكك عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي**» أو قال: «**أمة محمد ﷺ على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار**»[1]، وقال هذا حديث غريب. نود أن نكون أمة واحدة كما قال سبحانه : ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ**

---

(١) رواه الترمذي . وقال: هذا حديث غريب.

فَاتَّقُونِ﴾[المؤمنون:٥٢] فمتى يتوحد المسلمون تحت راية واحدة؟ إن الأمل في ذلك يحدونا كبيراً وما ذلك على الله بعزيز، فلو أن حكام المسلمين تركوا الأثرة فيما بينهم، واجتمعوا على توحيد الأمة وإزالة الحدود التي وضعها الأعداء لتمزيق أوصال الأمة، وجعل الخلافات والمنازعات تدب بينهم ليسهل القضاء عليهم .

فأرض الإسلام وخيراتها للمسلمين دون غيرهم أيًّا كان جنسهم أو لونهم، هذا ما نرجوه ونتمناه ولكن لا يتم ذلك بالتمني، وإنما بالعمل المخلص الدؤوب من أجل رفع راية لا إله إلا الله عالية خفاقة، وتحرير القدس الأسير من أيدي أحفاد القردة والخنازير، وما ذلك على الله بعزيز، وإن غداً لناظره قريب .

****

الباب الثالث

الإعداد والقيادة

الفصل الأول

إعداد الرجال

من المعروف أن المسلمين لم ينتصروا على أعدائهم بكثرة عدد، ولا كثير عدة، والدليل على ذلك جميع غزوات الرسول ﷺ وفتوحات الصحابة من بعده لم يكن فيها عدد المجاهدين أكثر من عدد الكافرين، والمرة الوحيدة التي تفوقوا فيها على عدوهم في غزوة حنين هُزِموا، فقد قال أحد الصحابة لرسول الله ﷺ: لن نهزم اليوم عن قلة يا رسول الله، ولكنهم انهزموا في بادئ الأمر حينما أعجبوا بكثرة عددهم، وسجل القرآن الكريم هذه الواقعة قال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[التوبة: ٢٦].

والمتأمل في جهاد النبي ﷺ يرى أنه اتبع في جهاد الكفار خطة موحى بها من عند الله، وقام بتنفيذها في جميع مراحلها، وكانت هذه الخطة على النحو التالي:

١- **مرحلة التربية والإعداد**: وهذا الذي نحن بصدده، فقد استغرقت هذه المرحلة جميع الفترة التي قضاها الرسول ﷺ في مكة بعد بعثته إلى بداية هجرته إلى المدينة، وكانت هذه المرحلة مرحلة تربية للنفوس، وإعداد عقائدي وفكري وأخلاقي وجهاد بالدعوة، والبيان ففي بدء البعثة أمر الله عز وجل رسوله والذين آمنوا معه بتربية أنفسهم بالعبادة المتصلة والتفكر في عظمة الله وجلاله، وأخذ النفس على الخضوع له وتوطينها على الصبر وإعدادها لحمل الدعوة.

فنحن نريد أن نبدأ بما بدأ به رسول الله ﷺ من التربية والإعداد، فنحن في أمس الحاجة لهذه التربية في هذا العصر بالذات الذي انتشر فيه الفساد، وعم البلاء البلاد والعباد إلا من رحم ربي.

وتربية الرجال تبدأ بتوحيد الله عز وجل توحيدًا خالصًا خاليًا من شوائب الرياء والشرك، فالله سبحانه وتعالى غني عنا ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، ولذلك قال رسول الله ﷺ : **«قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**(١) .

وقد يتساءل القارئ ويقول: ما دمنا مسلمين فما الداعي لما تقول؟ نحن نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كان يفترض أن تقول: علينا بتحديث السلاح وتنويعه، وامتلاك أحدث ما توصل إليه العلم في مجال الأسلحة، أقول له: كل ذلك مطلوب، ولكن من يحمل هذا السلاح لا بد أن يعرف أنه لا يقاتل شجاعة ولا يقاتل حمية، وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فما الفائدة التي ترجى من رجل يحمل السلاح وهو قبوري؟ - من عُبَّاد القبور - أو يتوجه لغير الله في الدعاء أو العبادة حتى وإن قتل فما مصيره إذن؟ فنحن نريد رجلاً مؤمنًا بالله إيمانًا خالصًا صادقًا في قوله وعمله صبورًا على الشدائد عفيفًا قنوعًا قويًا صحيحًا باذلاً لعونه بعيدًا عن الحرام، ومع تفصيل هذه الصفات بشيء من الإسهاب .

أولاً : الإيمان بالله إيمانًا خالصًا خاليًا من كل شائبة :

إن توحيد الله سبحانه بمعنى إفراده وحده بالعبادة والخضوع هو غاية من غايات الإسلام التي جاء ليثبتها في أنفس العباد، وهو كذلك عنصر أساسي في عقيدة المسلم، فقد كان هناك من يعرف الله، ويؤمن بأنه الخالق الرازق ومع ذلك يشرك معه غيره من الحجارة أو من الكواكب أو من الناس وذلك ضلال كبير .

فإذا أيقن الإنسان بأن الله هو الذي خلقه وهو الذي يملك أمره، فما معنى أن يشرك به جمادًا أو حيوانًا أو إنسانًا، وكلهم من خلق الله؟ إن هذا السقوط في التفكير قد استدعى حربًا شديدة على الشرك اشتمل عليها القرآن يقول سبحانه : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة: ٢٢].

---

(١) «رواه البخاري» برقم (٦٤٩٩)، ومسلم باب: من أشرك في عمله غير الله برقم (٢٩٨٥).

ومع أن عقيدة التوحيد واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار إلا أنه مع ذلك نجد أن بعض المسلمين قد شابت عقيدة التوحيد لديهم شوائب نالت من صفائها وإخلاصها.

إن العاطفة التي تربط المسلم بالصالحين من الأحياء أو الأموات أمر لا بأس فيه، ولكنها لا ينبغي أن تصل إلى الاعتقاد بأن لهم من الأمر شيئًا أو أنهم يملكون نفعًا أو ضرًا فهذا هو ما جاء الإسلام لحربه وتطهير العقيدة منه .

فلقد رأيت بنفسي من يطوف حول قبر الحسين رضي الله عنه، وكأنه يطوف حول الكعبة، ورأيت من يقبل عتبة الباب الموصل للقبر، ويسجد عليها وهذا والله هو الشرك الصراح وليعلم هذا وأمثاله بأن صاحب هذا القبر لا ينفعه ولا يضر، إنما النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى، الكون كله في قبضته، وليس لغيره رأي ولا حكم، والله يخاطب رسوله فيقول: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾**[آل عمران: ١٢٨]، فإذا كان ذلك شأن الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يكون شأن من سواه؟!! إن صرف الرجاء إلى غير الله والطلب منه يتجافى مع توحيد الله وإفراده بالعبادة.

فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠]. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«الدعاء هو العبادة»** ثم قرأ: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**[1]، ويقول: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»**[2] .

ومن باب سد الذرائع نجد أن الإسلام لا يقر ارتفاع قبر عن الأرض، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل من يسوي القبور بالأرض حتى لا تعبد من دون الله .

وليس في الإسلام ما يجيز أن يتخذ قبرًا مسجدًا مهما كانت منزلة صاحب هذا القبر حتى لو كان رسول الله، فمن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرض موته: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ألا لا تتخذوا قبري مسجدي»**[3]. تلك كانت الصفة الأولى التي ينبغي أن تتوافر فيمن يجاهد في سبيل الله.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه البخاري برقم (٤٣٥) .

ثانيًا: الترفع عن الدنايا : يقول السموءل الشاعر الجاهلي :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس له إلى حسن الثناء سبيل

نحن نريد في جهادنا ضد الكفار رجالاً شجعانًا أمثال سعد بن أبي وقاص، وخالد ابن الوليد، وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن فتح الله على أيديهم قلوب البلاد والعباد، ولكن أنى السبيل إلى ذلك؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن الذي يجاهد في سبيل الله يجب أن يكون بعيدًا عن كل ما يعيبه في الأخلاق والأعمال، فيكون بعيدًا عن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن فلا يزني لقوله سبحانه : ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء:٣٢]. ولقوله ﷺ : «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1] . أن يكون بعيدًا عن ارتكاب فاحشة اللواط؛ لأن الله أهلك قوم لوط؛ لأنهم فعلوا فاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين قال سبحانه: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[العنكبوت:٢٨-٣٥].

نريد رجالاً بعيدين عن الخيانة والغلول والسرقة والكذب وإخلاف الوعد، قال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[آل عمران:١٦١] . وقال ﷺ : «**...لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[2] .

(١، ٢) رواه البخاري برقم (٥٥٧٨)، ومسلم برقم (٥٧).

وقـال ﷺ : «**آية المنافـق ثلاث إذا حـدث كـذب، وإذا وعـد أخلف وإذا اؤتـمن خان**»(١).

رجـالاً بعيـدين عن الكبـر لقـوله ﷺ في الحـديث الذي يرويه عن رب العـزة : «**الكبرياء ردائـي والعظمة إزاري فمن نازعـني واحداً منهمـا قذفتـه في النار**» (٢) . ولقوله ﷺ : «**لا يدخل النار أحد في قلبه مثقـال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء**»(٣). رجالاً بعيدين عن الغيبة والنمـيمة لقوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحجرات:١٢]. وقول رسول الله ﷺ حينما مـر بقبرين فقال : «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة**» (٤).

رجالاً بعـيدين عن أكل الحـرام؛ لقوله: «**يا كعب بن عـجرة إنه لن يدخل الجنة لحم نبت من سحت**»(٥). رجالاً يغـضون أبصارهم عن الحـرام قال سبـحانه: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[النور:٣٠]. رجالاً يحفظون آذانهم عن سماع الغناء قال سبحانه : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [لقمان:٦]. قال عـبد الله بـن عبـاس رضي الله عنهما إنه الغناء . رجالاً يحـفظون آذانهم عن التجسس وتتبع عورات المسلمين قال سبحانه : ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا**﴾[الحجرات:١٢] وقال ﷺ : «**إنك إن اتبعت عـورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفـسدهم**» فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله تعالى بها (٦) .

رجالاً يتلون آيات الله آناء الليل وأطراف النهار؛ لقوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾[الأحزاب:٤١-٤٢]. فقد روي أن بطل

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٢) رواه مسلم، وأبو داود واللفظ له .

(٣) رواه مسلم برقم (٩١).

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

(٥) رواه الدارمي .

(٦) رواه أبو داود

الإسلام صلاح الدين الأيوبي كان يتفقد جنده في الليل قبل قتال الصليبيين فوجد الكثير منهم يقرؤون القرآن ووجد القليل منهم نائمين، فقال: إن نؤتى غداً نؤتى من قبل هؤلاء وأشار إلى الجند النائمين .

رجالاً متبعين وليسوا مبتدعين؛ لقوله ﷺ : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[١] . وقوله ﷺ : «**وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[٢] .

رجالاً يصفون أقدامهم بالليل يناجون ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، قال سبحانه في شأن عباد الرحمن ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٤] . وقال جل شأنه : ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] رجالاً لا يتعاطون الربا ولا يقرونه، قال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]. وقوله ﷺ : «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية**»[٣] .

رجالاً لا يتعاطون الخمر ولا المخدرات بكافة أنواعها، وبمختلف مسمياتها قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١] وقوله ﷺ : «**لا يدخل الجنة صاحب خمس، مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان**»[٤] . رجالاً يتصفون بمكارم الأخلاق بعيدين عن سيئها . عن أبي هريرة قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «**الفم والفرج**»[٥] .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨). (٢) رواه النسائي .

(٣، ٤) رواه أحمد . (٥) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح غريب .

ثالثًا : الصبر على الشدائد: إن الحياة كلها دار ابتلاء وامتحان والفائز فيها من صبر على بلائها، وضرائها فالمسلم الحق هو الذي يواجه أي أزمة تقابله بيقين ثابت وإيمان راسخ، وعقيدة لا تتزعزع وعزم لا يلين وصبر لا يفل، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[الحديد: ٢٢] وله في ذلك القدوة الحسنة والمثل الأعلى سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ صبر على كل الابتلاءات ولم تزده إلا يقينًا وثباتًا وثقة بنصر الله، وتحقق ما كان يصبو إليه فأعلى الله قدره ورفع ذكره وكثر أتباعه .

والمسلم في جهاده لا بد له من الصبر في مواجهة قوى الشر والعدوان يقول الرسول الأعظم ﷺ : «**لا تمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» ثم قال: «**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**»(١) .

فالصبر في ميدان المعركة مطلوب، بل هو مفتاح النصر، وذلك لأن الأعداء لا طاقة لهم بالصبر،فهم أصحاب عزيمة خائرة، وقلوب واجفة، بينما المسلم يستمد العون والمدد من الله عز وجل، فلا يخور له عزم ولا يوجل له قلب، بل ثابت ثبات الجبال الرواسي، وأصدق دليل على هذا جيش مؤتة بقيادة صحابة رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وجعفر ابن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة الذين واجهوا جيش الروم البالغ تعداده مائتي ألف، وهم لم يزيدوا عن ثلاثة آلاف، ولكنهم صبروا وجاهدوا حتى استشهدوا ليعلمونا أن النصر يتطلب الثبات والصبر، وأن غاية المسلم من الجهاد إما النصر وإما الشهادة .

وأن صاحب العزيمة الخائرة لا يصلح لمقارعة الخطوب والشدائد فهو مع أول ضربة يتقهقر وينهزم . إن عدم انتصارنا اليوم على الأعداء مرده عدم الاعتماد على الله والأخذ في الأسباب والصبر على الشدائد، فعاث أحفاد القردة والخنازير وعباد الصليب في الأرض فسادًا إن الله سبحانه وتعالى يقول مخاطبًا الفئة التي اصطفاها من خلقه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: ٢٠٠].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٢٥).

فلا بد من الصبر والمصابرة فإذا رأى الأعداء منا شدة وصلابة فلن تثبت لهم قدم، ولن ترتفع لهم راية، والدليل على ذلك هزيمة اليهود المنكرة من فئة قليلة من حزب الله في لبنان الذين أجبروا أعداء الله والبشرية على الخروج من لبنان بعد احتلال دام اثنتين وعشرين سنة .

تلك كانت الصفة الثالثة التي ينبغي أن تتوافر فيمن يجاهد في سبيل رفع راية الإسلام عالية خفاقة تعانق الجوزاء .

رابعًا: القوة والصحة : يقول جل شأنه : ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[القصص: ٢٦].

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...**»[١].

فالمسلم يحافظ على جسمه فلا يضعفه بتناول ما يؤثر عليه من أمثال الدخان والخمور والمخدرات بمختلف أنواعها ومسمياتها، كذلك يحافظ على نظافة بدنه فيهتم بالطهارة والرسول ﷺ يقول: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[٢]. فالعناية بصحة الأبدان دعا إليها الدين الإسلامي الحنيف، فالوقاية تقيه مشقة العلاج وآلامه ومن أجلها كانت النظافة فريضة مشروطة للعبادة في الإسلام كالوضوء والغسل وطهارة الثوب والمكان، وفي كل ذلك وقاية للصحة وتدريب على الطهر والنقاء وفي سبيلها أيضًا، كان تحريم الخبائث من الطعام والشراب كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير قال جل شأنه: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف: ١٥٧].
وفي سبيل القوة كانت عناية الإسلام بالرياضة، وإقراره لما كان معروفًا منها بين العرب

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٢٣).

كالسباحة والرماية والفروسية، روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ مر على قوم ينضلون - أي يرمون السهام يصيبون بها الأغراض - فقال: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**». ومما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا».

ولقد اهتم الإسلام بالعافية وأولاها جل اهتمامه؛ لذلك حث على التداوي، وأمر المسلم بابتغاء العلاج، روى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم**». وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل داء دواء فإن أصيب دواء الداء برَأَ بإذن الله عز وجل**»(١). والمسلم يجب أن يكون قويًا في الحق فلا يخاف في الله لومة لائم روى الترمذي في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمنعن أحدكم هيبة الناس من التكلم بحق إذا علمه**» فالإسلام طالبنا بأن نكون أقوياء في الحق كما كان المسلمون في الصدر الأول، وبهذه القوة نفسر ما كان مفروضًا على المسلمين من صمود أمام المشركين رغم تفاوت العدد والعدة قال جل شأنه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾[الأنفال:٦٥]. إن المناضلة هنا بين نفسين نفس مؤمنة قوية بالحق واثقة بنصر الله، وبين نفس كافرة خاوية من العقيدة جاهلة بحقيقة الحياة .

وهذه القوة عنصر أساسي في تكوين شخصية المسلم، وهذا أحوج ما نكون إليه الآن، وخاصة ونحن نواجه قوى البغي والطغيان؛ لأن المسلمين بغير هذه القوة يصبحون عددًا لا قيمة له، ولا طابع يميزه وهم حينئذ أهون على أنفسهم، وعلى الحياة من كل هوان كما هو طابع الكثرة في هذا الزمان، وإلى ذلك يشير قول الرسول ﷺ : «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**» قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا والذي نفسي بيده إنكم يومئذ لكثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليجعلن في قلوبكم الوهن**» قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» (٢) .

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود .

وهذه هي الحال الآن فأمة الإسلام تعدادها أكثر من مليار مسلم، ولكن ما قيمة هذا العدد اليوم، فالمسلمون في كافة الأصقاع تنتهك أعراضهم وتغتصب أرضهم، ويذبحون كالخراف في الشيشان وكشمير وفلسطين والفلبين، ومن قبل في البوسنة والهرسك وفي كسوفا، وفي كثير من البلاد ذوات الأقليات المسلمة، فهل هب المسلمون لنجدة إخوانهم والذود عنهم، كلا فأين هذا العدد الضخم من قضايا الأمة؟ لا خير من ورائه يرجى، ولا فائدة منه تجنى، وذلك لضعف إيمانهم، وتهالكهم على الدنيا الفانية، وللأسف الشديد نجد كثيراً ممن هم أولو الأمر همهم الوحيد أن يسكنوا في القصور المشيدة، ويركبوا السيارات الفارهة، ويمتلكوا الأموال الطائلة، والكثير من أفراد الأمة قد أهلكه الجوع والمرض والفقر، فهل يرجى من هؤلاء خير؟!! .

فالمسلم حين يخون أمانته ويفلت من رباط دينه يفقد ميزته التي ميزه الله بها، وتبرد في قلبه حماسة الإيمان، ويخفت نداء العقيدة، وهو حينئذ مريض القلب واهن القوة[1]، ولن يبرئه من ذلك إلا حين يعود إلى الفطرة السوية التي ارتضاها الله لخلقه، قال سبحانه: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[الروم: ٣٠].

بذلك نكون قد أعددنا الرجال إعداداً إيمانيًّا يستطيعون بإذن الله سبحانه أن يحملوا السلاح، ويحققوا النصر على الأعداء، وإدخال الرعب في قلوبهم، كما فعل صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان، ولن ينصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وصدق الله؛ إذ يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧].

****

---

(١) «شخصية المسلم كما يصورها القرآن» د. مصطفى عبد الواحد صـ (٢٢٨).

الفصل الثاني

اختيار القائد

تحدثنا في الفصل السابق عن إعداد الجنود بدنيًا وروحيًا، وفي هذا الفصل سوف نتحدث فيه عن اختيار القائد الذي يقود هؤلاء الجنود نحو النصر نحو العزة والكرامة .

من المعلوم أنه لا بد لكل جماعة بشرية من قائد يسيرون تحت لوائه يأتمرون بأمره ويعملون بمشورته، وهو أشبه بربان السفينة الذي يقودها نحو بر الأمان. وكذلك الجند يحتاجون كغيرهم من الجماعات البشرية إلى قائد محنك يقودهم نحو النصر والتمكين. ولا بد لهذا القائد من صفات يتصف بها؛ حتى يتحقق النصر على يديه . وهذه الصفات التي سوف أسردها الآن ليست خاصة بالقائد الأعلى للقوات المسلحة، إنما هذه الصفات يجب أن تتوفر في جميع قادة أفرع القوات المسلحة .

عمق الإيمان :

الصفة الأولى التي ينبغي أن تتوفر في القائد أن يكون عميق الإيمان بالله عز وجل، فالإيمان به سبحانه هو خير الزاد الذي يمكن أن يتزود به القائد المسلم .

وللأسف الشديد سادت فكرة خبيثة بين كثير من القادة المسلمين مفادها أن القائد العسكري لا ينبغي أن يكون متدينًا، وهنا يتساءل اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه الممتع «بين العقيدة والقيادة» قائلاً: لماذا ينبغي أن يتخلى القائد العسكري بالذات عن الدين؟ وكيف يمكن أن نتصور القائد العسكري بلا دين؟ إن الذي لا دين له لا يدافع عن الدين، والذي لا عرض له لا يدافع عن أعراض المسلمين، والذي لا يتحلى بالمثل العليا لا يمكن أن يدافع عن المثل العليا .

وماذا يريد اليهود، وماذا يريد أعداء العرب والمسلمين غير أن يتخلى العرب والمسلمون عن دينهم وأعراضهم ومثلهم العليا، هل يمكن أن يدافع الديوثون والبغايا عن الشرف الرفيع؟ هل يمكن أن يدافع المتنكر للمثل العليا عن المثل العليا ؟!

إن الأيدي الخفية التي لا تريد الخير للعرب والمسلمين وتتعاون مع اليهود في تنفيذ

مخططاتهم وأحلامهم التوسعية الاستيطانية في البلاد العربية، وتؤازر الاستعمار ليبقى إلى الأبد مستحوذًا على خيرات بلاد العرب، ودار الإسلام هي التي تعمل جاهدة؛ لكي يتخلى العرب والمسلمون عن دينهم وعقيدتهم حتى لا تقوم لهم قائمة أبدًا .

وقد حدثت حوادث كثيرة استغل عملاء الاستعمار واليهود قسمًا من المسؤولين العرب والمسلمين، وحصلوا على معلومات خطيرة منهم بالغواني والمال، بل الأدهى من ذلك أن بعضهم تبرع؛ كي يفشي الأسرار العسكرية الخطيرة لليهود مقابل أن يرضوا عنه، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ [البقرة: ١٢٠]. والعاقل من اعتبر بغيره فما أحرى العرب والمسلمين اليوم بالاعتبار .

إني أتحدى كل من يستطيع أن يذكر لنا قائدًا مسلمًا واحدًا انتصر على أعدائه، ولم يكن يتحلى بالتدين العميق ويتمسك بالمثل العليا النابعة من صميم تعاليم الدين الحنيف. لن يستطيع أحد أن يذكر قائدًا مسلمًا واحدًا كان له في ميدان النصر تاريخ إلا وهو متدين إلى أبعد الحدود .

وكل واحد يستطيع أن يعدد ما لا يحصى من القادة الملوثين جنسيًّا أو كانوا السبب فيما حاق بالعرب والمسلمين من نكبات .

فسيد القادات وقائد السادات سيدنا محمد ﷺ هو صاحب الشريعة الغراء خاتم النبيين وسيد المرسلين، وقادة الفتح الإسلامي العظيم كلهم من صحابة النبي ﷺ ، ومن التابعين عليهم من الله الرضوان، لقد أحصيت عدد القادة الفاتحين الذين حملوا رايات الإسلام شرقًا وغربًا في أيام الفتح الإسلامي (١١ هـ - ٩٤ هـ) فكانوا ستة وخمسين ومائتي قائد عربي مسلم منهم ستة عشر ومائتا قائد من صحابته الأطهار، وأربعون قائدًا من التابعين الأبرار رضوان الله على الجميع .

وهؤلاء هم قادة فتح العراق والجزيرة وقادة فتح فارس، وقادة فتح الشام ومصر، وقادة فتح المغرب العربي، وقادة فتح المشرق الإسلامي، وقادة فتح الأندلس، والجزر في البحار .

وقد توقف الفتح الإسلامي العظيم عام ٩٤ هـ وأصبحت معارك المسلمين بعد ذلك معارك دفاعية عدا فتح مناطق من أوربا في عهد العثمانيين، ومع ذلك فكل القادة الذين انتصروا في صد غارات المعتدين، أو فتحوا بلاداً جديدة كانوا متدينين غاية التدين، وكانوا أمثلة عليا في التدين والعمل الصالح، ويكفي أن أذكر منهم على سبيل الإجمال لا الحصر أسد الفرات فاتح جزيرة صقلية، وصلاح الدين الأيوبي الذي استعاد القدس من الصليبيين، وقطز قاهر التتار، ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية .

فمن أين جاءت الفكرة السائدة بأن القائد لا ينبغي أن يكون متدينًا، وكيف استقر هذا الخطأ الشائع في أذهان قسم من العرب والمسلمين بأن القيادة والتدين على طرفي نقيض .

لاشك أن تلك الفكرة وذلك الخطأ لا مسوغ لهما، قد روجهما أعداء العرب والمسلمين وصدقهما الجهلاء والعملاء والمغرر بهم، وطالبوا اللذة من عبيد الفرج والبطن .

وهناك صفات أخرى يجب أن تتوفر في قادة المسلمين، ولهم في رسول الله ﷺ المثل الأعلى، والقدوة الصالحة، قال الله سبحانه : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[الأحزاب:٢١]. فكان ﷺ يتصف بـ «كمال الأخلاق» .

كمال الأخلاق :

لقد كان ﷺ أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقًا وأكرمهم نسبًا وأرجحهم عقلاً، وأصدقهم قولاً، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف بين أهل مكة في حداثة سنه بالأمين، قال سبحانه : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:٤]، وحين سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أدبك يا رسول الله؟ قال : «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» .

فينبغي للقائد المسلم أن يكون كريم الخلق بعيدًا عن فحش القول، ولكن ما نراه الآن من أخلاق بعض القادة العسكريين عكس ذلك تمامًا .

كمال العقل وحسن السياسة :

لقد كان ﷺ من كمال العقل والعلم في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه، وليس أدل من ذلك حسن تدبيره وسياسته للعرب الذين كانوا أهل عزة وإباء، وانطلاق مع

الطبع المتنافر المتباعد، وكيف احتمل جفاءهم والتفوا حوله وقاتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله أهليهم، وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهاجروا معه، وتركوا أوطانهم وأحباءهم .

احترام النفس والتواضع :

كان رسول الله ﷺ يعرف قدر نفسه ويحترمها فكان بريئًا من الرياء والتصنع، مستقل الرأي، لا يدعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبرًا ولا ذليلاً، بل كان في ثوبه المرقع الذي كان يرقعه بنفسه يخاطب بقوله الحق أكاسرة الفرس وقياصرة الروم، وكان لا يؤخر عمل اليوم إلى غده، وما عبث قط، وكان متواضعًا فكان يقول لأصحابه : «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**» (١) .

عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصًا فقمنا إليه فقال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضًا**» (٢) .

الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ :

فقد كان ﷺ صبورًا شجاعًا حكيمًا كريمًا فكان يقابل الأذى بالصبر الجميل؛ امتثالاً لقول الله سبحانه : ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[النحل:١٢٧]. وهو القائل صلوات ربي وسلامه عليه : «**...ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يُعنه الله، ولن تعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»(٣) .

الوفاء :

الوفاء صفة عظيمة إذا تحلى بها القائد كان قائدًا عظيمًا؛ إذ بالوفاء يأسر القائد قلوب رجاله، ويرفع روحهم المعنوية إلى قمتها، وقدوتهم في ذلك الرسول ﷺ ، فقد كان متصفًا بهذه الصفة حتى قبل البعثة، عن عبد الله بن أبي الحبساء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال: «**يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك**»(٤) .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه.
(٣) رواه البخاري برقم (٦٤٧٠).
(٤) رواه أبو داود .

والله سبحانه قد مدح الموفين بعهدهم فقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

الشجاعة والنجدة :

كان النبي ﷺ في ذلك المثل الذي لا يجارى والقدوة المنقطعة النظير، قال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ؛ فقد قاد بنفسه صلوات ربي وتسليماته عليه ثمانٍ وعشرين غزوة انطوت على كل صور العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار، وكان ﷺ يشارك في القتال بنفسه، وخاصة في المواقف الصعبة والحرجة في المعركة، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو» (١) .

وفي غزوة حنين كان ﷺ يركض ببغلته إلى العدو، وينوه باسمه فيقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»، ولو لم يثبت الرسول ﷺ مع عشرة فقط من أصحابه في تلك الغزوة لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين .

اللياقة البدنية :

فاللياقة البدنية مطلب مهم جدًا يجب أن يتحلى به القائد، وقدوته في ذلك الرسول ﷺ، فقد كان يتمتع بلياقة بدنية عالية فكان يصرع الرجل القوي، ويركب الفرس عاريًا فيروضه على السير، وكان يداعب من يحب بالمسابقة في العَدْو، وينقل إلينا أبو هريرة رضي الله عنه صورة من صور لياقة الرسول ﷺ البدنية فيقول : «ما رأيت أحدًا أسرع من رسول الله ﷺ في مشيته كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث» (٢) .

حسن العشرة :

كان النبي ﷺ أوسع الناس صدرًا وأصدقهم لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة أليس هو القائل : «**إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا**» (٣) .

---

(١) رواه أحمد والنسائي . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم باب كثرة صيامه ﷺ، برقم (٢٣٢١).

الثقة المتبادلة :

لقد كانت ثقة أصحاب رسول الله ﷺ به عظيمة كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة أيضًا، يكفي أن نذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية؛ إذ لولا ثقتهم العظيمة به؛ لرفضوا هذا الصلح .

وأصدق مثال على ثقته ﷺ بأصحابه معركة بدر ومعركة أحد، فقد كانت قوات المشركين في بدر ثلاثة أمثال قوات النبي ﷺ ، وفي أحد كانت قوات المشركين خمسة أمثال قواته، ومع ذلك خاض بهم المعركتين، ولا يمكن أن يقبل القائد الاشتباك في معركة لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته تفوقًا ساحقًا إلا إذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدًّا [1].

المحبة المتبادلة :

ظهرت محبة الرسول ﷺ لأصحابه ومحبة أصحابه له في السلم والحرب. فمن أمثلة محبة أصحابه أن سعد بن الربيع يقول وهو في النزع الأخير لرجل بعثه الرسول ﷺ بعد المعركة لينظر أفي الأحياء هو أم في الأموات قال سعد: أبلغ رسول الله ﷺ وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إذا خلص إلى نبيكم - أي: خلص إليه العدو - ومنكم عين تطرف .

أما حب الرسول ﷺ لأصحابه فيكفي أنه رفض ما اقترحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حول قتل حاطب بن أبي بلتعة؛ لأنه أرسل كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بحركة المسلمين لفتح مكة، بل على العكس أمر ﷺ أن يذكر المسلمون حاطبًا بأفضل ما فيه .

لقد كان يحب أصحابه حبًّا لا مزيد عليه فإذا سلم عليهم لا يكون البادئ أبدًا بسحب يده عن السلام، وكان يلقى الناس بوجه باسم متهلل حقًّا، وكان يمقت الغيبة، وكان البادئ دائمًا أصحابه بالتحية .

هكذا فليكن القائد محبًّا لجنوده؛ حتى يتفانوا ويطيعوا أوامره عن طواعية لا عن إكراه.

---

(١) «الرسول القائد» اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص (٣٢٠).

روح الدعابة :

كانت الهشاشة والبشاشة والابتسام من **صفات الرسول** ﷺ في أكثر أحيانه، وكان عليه صلوات ربي وسلامه يقول: «**روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإنها إذا كلت عميت**».

وإن من سعة النفس أن ينهض الرجل بعظائم **الأمور، بل** بأعظمها جَدًّا ووقارًا، وهو إقامة الأديان، وإصلاح الأمم، وتحويل مجرى التاريخ، **ثم يطيب** نفسًا للفكاهة، ويطيب عطفًا على المتفكهين، ويشركهم فيما يشغله من **طرائف** . فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تتسع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة . ولكن النفوس لا تستغرق هذا الاستغراق إلا ولت على شيء من ضيق الحظيرة، ونقص المرايا، وإن نهضت بالعظيم من الأعمال[1] .

فاستراحة محمد ﷺ إلى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الإنسانية، وهي المقياس الذي يبدي من العظمة ما يبغيه الجد في أعظم الأعمال، وإذا مزح محمد ﷺ فإنما كان يعطي الرضى والبشاشة حقهما، ولا يأخذ لهما من حق الصدق والمروءة . فكان مزاحه آية من آيات النبوة؛ لأنه كان كذلك آية من آيات الإنسانية، ولم يكن بالنقيض الذي يستغرب من نبي كريم . ويخبر ﷺ عن نفسه فيقول : «**إني لأمزح ولا أقول إلا حقًّا**» قال لعمته صفية ذات يوم: «**لا تدخل الجنة عجوز**» فبكت، فقال لها وهو يضحك : «**الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾**»[الواقعة: ٣٥-٣٧][2] .

التوازن النفسي :

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة عليا في التوازن النفسي، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: سيطرته على أعصابه يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود، ويوم حنين عندما انهزم المسلمون، لكنه ثبت مع عشرة فقط من اثني عشر ألفا تجاه التيار الجارف من مطاردة

---

(١) «عبقرية محمد» عباس محمود العقاد ص (٢٠٩).

(٢) المعنى : أن أصحاب اليمين يجلسون على فرش مرفوعة على سرر وأنشأنا لهم زوجات في الجنة حتى من كانت منهن في الدنيا عجوزًا فإنها في الجنة شابةً بكرًا دائمًا مهما مسها زوجها.

المشركين، وظل رابط الجأش؛ حتى هزم أعداءه فعاد أصحابه؛ ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد .

تلك أمثلة من سيطرته على أعصابه في وقت الشدة، أما في وقت الرخاء فأروع ما يذكر من أمثلة، ما كان يوم فتح مكة وحصوله على نصر ساحق على قريش التي ناصبته العداء أكثر من عشرين عامًا، لكنه سيطر على أعصابه، ولم يظهر منه أي موقف من مواقف العظمة والجبروت التي أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم، وكانت قولته المشهورة : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

هكذا فليكن القائد يسيطر على أعصابه في المواقف الشديدة؛ حتى لا تتعرض معنوياته للانهيار في حالة الهزيمة،ولا يخرج عن آداب الحرب في حالة النصر .

بُعد النظر :

يعتبر التنبؤ وبُعد النظر أرقى درجات استعمال العقل، ومن أسس النجاح في التخطيط، والقائد الناجح هو الذي يفكر في كافة الاحتمالات القريبة والبعيدة، ويدخل أسوأ الاحتمالات في حسابه، ويعد الخطط لكل موقف محتمل حتى يمكن تطبيق تلك الخطط وقت الحاجة دون تردد ولا ارتباك . ولقد كان رسول الله ﷺ يتحلى بمزية بُعد النظر في أعماله العسكرية وغير العسكرية، والأمثلة على ذلك أكثر مما تحصى منها: إصراره ﷺ على قبول شروط هدنة الحديبية؛ لأنه فكر وسبق النظر، فعرف بفكره الثاقب أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين، فهي تؤمن لهم الاستقرار، وفي ظل هذا الاستقرار أصبح جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة، بعد أن كان ألفًا وأربعمائة في غزوة الحديبية قبل سنتين .

الشخصية :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي؛ لمفاوضة الرسول ﷺ في الحديبية، فعاد إلى قريش يقول: «يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت مثل محمد: لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشيء أبدًا» بهذا الوصف الرائع

يصف مشرك من أعداء رسول الله ﷺ شخصية الرسول الكريم . فما أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتحلى بها **الرسول** ﷺ ؟ لقد كان الرسول ﷺ متواضعًا حليمًا رؤوفًا رحيمًا، ومع ذلك **لا يستطيع أحد** أن يرفع صوته فوق صوت النبي، ولا يستطيع أحد أن يديم النظر إلى وجهه **المنير**، **ولا** يستطيع أحد أن يرد له أمرًا أو يتردد في تنفيذه . إن أسباب قوة الرسول هي **محبته للناس** جميعًا، ورغبته الشديدة في خيرهم وهدايتهم وخلقه العظيم .

هكذا فليكن جميع القادة متأسين بالرسول الكريم **صلوت** ربي وتسليماته عليه[1] .

****

(١) الرسول القائد» اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص (٣٥٥).

الفصل الثالث

القائد الرباني محمد الفاتح

إن الأزمة الشديدة والندرة الظاهرة في القيادة الربانية على مر تاريخ هذه الأمة تدفعنا دائمًا للتساؤل وبقوة لماذا لا يكون عندنا أمثال القادة العظام الربانيين؟ لماذا لا يكون عندنا مرة أخرى عمر بن عبد العزيز، أو نور الدين محمود، أو عثمان الأول أو صلاح الدين؟ ثم يأتي بعده التساؤل الحتمي للاستفادة من هذه الدراسة، وهو كيف يكون عندنا قائد رباني؟ حري بنا أولاً : أن نستعرض البناء التربوي لأحد القادة الربانيين العظام؛ لتتوفر عندنا بيانات كافية في المشروع القومي لبناء الربانيين .

وسوف نتجاوز في دراستنا مرحلة القرون الثلاثة الفاضلة حتى لا يتحجج البعض بخيرية الزمان وسهولة الإعداد وقتها، وأنه كلام لا يناسب واقعنا المرير .

وقائدنا هو: «السلطان محمد الفاتح» .

التعريف به :

هو السلطان محمد خان الثاني بن مراد الثاني العثماني فهو السلطان السابع في سلسلة آل عثمان الملقب بالفاتح، وأبي الخيرات، ولد سنة ٨٣٣ هـ وكان ترتيبه الثاني في إخوته حيث كان يسبقه أخ له اسمه علاء الدين استشهد في ميدان الجهاد .

نشأته :

تربى محمد الثاني منذ نعومة أظفاره على معاني البطولة والجهاد والقيادة والصلاح، فقد كان أبوه السلطان مراد الثاني يربي أبناءه؛ ليكونوا قادة عظامًا يحملون الراية من بعده؛ لذلك فإن أباه عهد به لعدد من المربين والعلماء الأفاضل؛ لتربيته على القيم الإسلامية والمعاني الجهادية، ولقد لاحظ أبوه أن محمداً به ميل للترف واللهو، وأنه لا يستجيب لمعلميه فسأل مراد الثاني عن معلم ومربي يستطيع أن يسيطر على الفتى محمد، فقيل له: العالم الرباني المولى «أحمد بن إسماعيل الكوراني» فأحضره مراد الثاني،

وأعطاه قضيبًا ليضرب به محمدًا إذا لم يتعلم منه فذهب الكوراني لمحمد، ودخل عليه والقضيب بيده، فقال: أرسلني والدك للتعليم والضرب إذا خالفت أمري، فضحك محمد من ذلك الكلام فضربه الكوراني في ذلك المجلس ضربًا شديدًا؛ حتى خاف منه، وختم القرآن في مدة يسيرة، ثم علمه العلوم الإسلامية، وقرأ عليه كتب التاريخ، وظهر نبوغ محمد على سائر الأمراء، واستطاع أن يتقن ثلاث لغات هي التركية والفارسية والعربية .

تربية القادة :

حرص السلطان مراد الثاني على الدفع بولده الصغير منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره للمراكز القيادية؛ ليتربى على هذه المكانة السامية، فجعله أميرًا على مقاطعة «مغنيسيا» ولما رأى مراد من ولده كفاءة وحسن قيادة رقاه إلى مكانة سامية فتنازل عن السلطنة بأسرها، ومحمد في الرابعة عشرة، ودخل مراد في خلوة للتعبد والتأمل، ولكن لم يترك مشروعه لإعداد قائد عظيم يتعرض لتيارات الأعداء والمعارضين داخليًّا وخارجيًّا، بل ظل يراقب مشروعه عن كثب؛ ليتدخل في الوقت المناسب، وبالفعل تدخل مرتين، مرة عندما أعلنت أوربا الصليبية الحرب على العثمانيين لصغر سن سلطانهم، فخرج مراد من عزلته، وقاد المسلمين لانتصار ساحق على الصليبيين في موقعة فارنا في ٢٨ رجب ٨٥٢هـ . ثم عاد مرة أخرى لخلوته، وترك ولده محمدًا سلطانًا على البلاد، ثم خرج مرة أخرى عندما حدثت اضطرابات داخلية على يد الجنود الانكشارية، الذين استضعفوا سلطانهم، وخرج لهم مراد وأدبهم .

ومما سبق عرضه في فترة ما قبل ولاية محمد الفاتح يتضح لنا عدة أمور : -

- إن إعداد القائد الرباني ليست مسألة عفوية تترك لأقدار الله دونما تخطيط، وأخذ بالأسباب، أو أنها مسألة نبوغ فردي شخصي لفرد يقتحم الصفوف وحده حتى يصل لسدة الحكم والقيادة، بل هي عملية شاقة وطويلة تبدأ منذ نعومة الأظافر؛ لتنمية الملكات واكتشاف المهارات وصقل القدرات في عمليات متتابعة لتنشئة القائد المرجو .

- إن هذا الإعداد لا يقتصر على الجانب الديني والوازع الإيماني فقط، بل هي عملية بناء متكامل لقائد سوف يسوس أمة تعيش حياتها، وتحتاج إلى من يصلح لها حياتها، كما

يحفظ لها الدنيا المليئة بالكثير من المتغيرات والمستجدات التي تحتاج إلى الجمع بين الأصالة والحداثة .

- إن التدريب العملي لوظيفة القائد هي التي سوف تظهر مدى سلامة وجدية المشروع القيادي ومدى صحة النموذج المطروح لذلك، فإن البعض إذا كان خارج الولاية لم يبد منه أي شائبة أو ناقصة، ولكنه إذا دفع به لأرض الواقع وميدان التجربة تظهر عيوبه، وخروقه؛ لذلك فلقد حرص الوالد مراد على اختبار الابن محمد فدفع به أولاً لمنصب الولاية على مقاطعة صغيرة، ثم دفع به بعد ذلك لأعلى درجة «السلطنة»، ثم لم يتركه وحده يعاني مرارة التجربة وقسوة الاختبار، بل ظل يسانده حتى اشتد عوده .

- إن إعداد قائد رباني يحتاج حتمًا ولا بد إلى معلمين وعلماء ربانيين يتولون تربية وإعداد هذا القائد على المعاني الربانية، ولقد تولى تربية محمد الفاتح اثنان من العلماء الربانيين الذين كان لهما أعظم الأثر في تكوين شخصية القائد، هما : -

العالم أحمد بن إسماعيل الكوراني : الذي تولى تحفيظ محمد القرآن وقراءة الكتب الشرعية، وربى محمداً على تعظيم أوامر الله، والتزام حدود الشريعة والتقوى والصلاح، وكان هذا المربي الفاضل يمزق الأمر السلطاني إذا وجد به مخالفة للشرع، ولا ينحني للسلطان ويخاطبه باسمه مباشرة، ويصافحه ولا يقبل يده؛ لذلك فإنا نجد أثر هذه التربية الصحيحة على محمد فنجده عند ولايته يعظم الشرع، وعلماء الدين وأهل الورع والتقى، حتى كاد أن يقتل أحد أتباعه؛ لأنه قد قام بضرب أحد القضاة ورفض تنفيذ حكم الشرع الذي قضى به هذا القاضي، ونجد أن محمد الفاتح يجعل حاشيته وبطانته وخواصه من العلماء والصالحين، وكان لا يسمع عن عالم في مكان أصابه عوز أو إملاق إلا بادر بمساعدته، وكان من عادته في شهر رمضان أن يعقد مجلسًا بعد صلاة الظهر يحضره العلماء المتبحرون في التفسير، فيقوم كل مرة واحد منهم بتفسير آيات من القرآن الكريم، ويناقشه باقي العلماء، وكان الفاتح يشاركهم في ذلك، ويذكر عنه أنه لما انتصر على زعيم التركمان حسن الطويل، وكان هذا الرجل دائم العدوان والغدر والتحالف مع أي ملة ضد العثمانيين، أمر الفاتح بقتل الأسرى إلا من كان من أهل العلم والمعرفة، مثل القاضي محمد الشريحي الذي خرج مكرهًا مع الطويل، وكان هذا العالم من فضلاء زمانه؛ فأكرمه الفاتح؛ لعلمه رغم عدوانه .

أما المعلم الثاني: هو الشيخ محمد بن حمزة الروحي، الملقب بأق شمس الدين: وكان لهذا الشيخ أعظم الأثر في حياة القائد محمد الفاتح حيث رباه على أمرين عظيمين:

١- مضاعفة حركة الجهاد العثمانية .

٢- الإيحاء دومًا لمحمد منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث النبوي: «**لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»، حتى تشبع فكر محمد على أنه المعني بهذا الحديث، وكان أول ما فعله بعد ولايته الإعداد لفتح القسطنطينية وقد كان.

حتى أن أهل التاريخ يقولون: إن الشيخ أق شمس الدين هو الفاتح المعنوي للقسطنطينية، وهذا الشيخ هو الذي علَّم الفاتح العلوم العلمية من الرياضيات والفلك والتاريخ وأساليب الحرب، وأعطى للفاتح درسًا في صغره لم يَنْسَهُ أبدًا يدل على مدى فهم هذا الشيخ لمعنى تخريج وتربية قائد رباني، فلقد استدعى الفاتح يومًا، ثم قام بضربه ضربًا شديدًا بلا سبب، وبكى الفاتح بشدة، وظل يتذكر تلك الواقعة حتى لما تولى السلطنة أيام أبيه مراد استدعى شيخه أق شمس الدين، وسأله بغضب شديد: «لما ضربتني يوم كذا، ولم أكن قد فعلت ما أستحق عليه الضرب؟!» فقال له شيخه : «أردت أن أعلمك كيف يكون طعم الظلم، وكيف ينام المظلوم؛ حتى إذا وليت الأمر لا تظلم أحدًا» فما كان من الفاتح إلا أن اعتذر لشيخه، وقبل رأسه ويده، وعندما أراد الفاتح بعد فتح القسطنطينية أن يعتزل ويتفرغ للعبادة سأل الشيخ أق فقال له الشيخ : «إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينيك فتختل أمورها، وما أنت فيه أفضل من دخولك للخلوة والتعبد» وهذا فهم عظيم من هذا المربي الصالح .

وهكذا ربى هذا العالم الرباني تلميذه النجيب ليتولى القيادة على معانٍ عظيمة، وربطه بهدف أسمى يسعى إليه ويوجه إليه كل طاقاته، وذلك بالقطع في صالح الأمة بأسرها .

محمد الثاني سلطانًا على البلاد :

بعد أن اتضح لنا في المرحلة الأولى كيف تربى محمد؛ ليكون قائدًا ربانيًّا يجب أن ننتقل لمرحلة ما بعد الولاية والحكم، وهي منقسمة لعدة مراحل:

١- مرحلة التجديد الجهادي : وهي المرحلة التي استمرت طيلة حياة الفاتح بدءًا من

فتح القسطنطينية مـروراً بفتح جنوب اليونان وشمال رومانيا وبلاد البـوسنة، حتى محاولة فتح إيطاليا، حـتى مات -رحمه الله- أثناء خروجـه للجهاد في سبيـل الله لفتح إيطاليا، وتلك المرحلة استولت على معظم حياة الفاتح المليئة بالفتوحات والغزوات .

٢- مـرحـلة البناء الحـضـاري : يخطئ البـعض عندمـا يظن أن الـكلام عن البناء الحضـاري والتوسع العمـراني نوع من الركون إلى الدنيا والخلود إلى الأرض وأنه مـذموم بالكتاب والسنة، وهذا الأمر وهذا التصور الخاطئ بالغ الخطورة، ذلك لأن البناء الحضاري هو القاعدة الضرورية الصلبة للتحقق من أي انتصار في ميادين الجهاد، فما معنى الانتصار والغزو والفـتح إذا لم تتحول تلك الانتـصارات لإنجاز حضـاري يستوعب شعـوب البلاد المفتوحة، فلا قيمة لهذه الفتـوحات، وهذا الفهم أدركه تمامًا السلطان محمد الفاتح، فكان مشروعه الحضاري متكاملاً كما يلي :

- اهتم بالناحية العلمـية اهتمامًا بالغًا تبعًـا لتربيته العلمية والإيمانية فـأنشأ الكثير من المدارس والمعاهد، وعـمل على جلب العلماء والأدباء من شتى أنحاء الدنيـا، وعمل على تطوير مناهج التعليم، وكان من أوائل الناس الذين وضعوا فكرة الامتحان الذي لا بد من النجاح فيه للجواز للمرحلة التالية، وأنشأ مكتـبة ضخمة بمسجده الذي بناه بالقسطنطينية، وعمل على ترجمة أمـهات الكتب الأجنبية في شتى فروع المعرفة خـاصة الطب والصيدلة والفلك .

- اهتم الفاتح ببناء المـساجد والمستـشفيـات والحمامـات والأسواق الكبيـرة والحدائق العامة، وأنشأ مستشفًا عامًّا بالمعنى المعروف، وعلى النظم المعمول بها الآن، وكان العلاج فيها مجانيًّا بدون تمييز بين الرعية .

- توسع الفاتح في الاهتمام بالتجارة والصناعة والتنظيمات الإدارية، وشكل لجنة من خيار العلماء لتـشرف على وضع «قانون نامة» المستمد من الشريعـة، وجعله أساسًا لحكم دولتـه واهتم بتنظيم العـلاقة بين المسلمين وغـير المسلـمين، ووضع نظامًا لحكام الأقـاليم ونواب الولايات بصورة تشبه لحد بعيد التقسيم السائد الآن .

كل ذلك وكان محمد الفاتح على دراية تامـة بما يجري على أرض دولته، وكان كثيراً

ما ينزل ليلاً يستمع لكلام الناس وشكواهم بنفسه بيقظة واهتمام، وأعانه على ذلك رجال دولته الأكفاء .

ومما سبق عرضه من حياة السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح أثناء ولايته على المسلمين بقى أن نقول: إن هذا القائد الرباني كان عنده بعض الصفات القيادية التي يجب أن تتوافر في القادة الربانيين منها :

الإخلاص: فإن كثيراً من المواقف التي سجلت في تاريخ الفاتح تدلنا على عمق إخلاصه لدينه وعقيدته، ومما يؤثر عنه في مناجاته لربه عز وجل أنه قال:

نيتي : امتثالي لأمر الله ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٤١] .

حماسي: بذل الجهد لخدمة ديني دين الله .

عزمي : أن أقهر أهل الكفر جميعًا بجنودي جند الله .

تفكيري : منصب على الفتح على النصر على الفوز بلطف الله .

جهادي : بالنفس والمال فماذا في الدنيا بعد الامتثال لأمر الله .

أشواقي : الغزو مئات الآلاف من المرات لوجه الله .

رجائي : في نصر الله وسمو الدولة على أعداء الله .

العلم: فلقد نشأ الفاتح على حب العلم والعلماء منذ صغره لنظام تربوي علمي متكامل فتعلم القرآن والحديث والفقه والعلوم العصرية، وكان يكتب الشعر بالتركية، وبرع في علم الفلك، وكان يشرف بنفسه على صناعة المدافع ويجربها بنفسه، وهذه الصفة جعلته يجل ويحترم العلماء، ويجعلهم خاصته ومستشاريه، وأكبر دليل على علمه وذكائه الوقاد ما فعله أثناء حصار القسطنطينية، عندما نقل سفن الأسطول العثماني على ألواح خشب ضخمة مدهونة بالزيت والشحم، وذلك لمسافة ثلاثة كيلو مترات على أرض اليابسة في فكرة عبقرية تدل على سعة علمه وذكائه الفذ .

العزيمة والإصرار: وهذا يتضح جليًّا من إصراره على فتح القسطنطينية رغم المتاعب الجمة التي لاقها أثناء ذلك، ومما يؤثر عنه أنه لما جاءه رفض قسطنطين بتسليم المدينة، قال كلمته المشهورة : «حسنًا عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها

قبر»، وعندما استطاع البيـزنطيون أن يحرقوا القلعة الخشبية الضخـمة المتحركة، كان رده: «غدًا نصنع أربعًا أخرى»، وكـان من شدة حزمه أنه كلما ظهر تقـصير أو تكاسل من أحد قواده فإنه كان يعزله فورًا كما فعل مع قائد أسطوله بالطه أوغلي عند حصاره للقسطنطينية وقال له: «إمـا أن تستولي على هذه السفـن وإما أن تغرقهـا، وإذا لم توفق في ذلك فلا ترجع إلينا».

وكان من عزمـه أن يواصل الغزو والفتح حتى يفـتح إيطاليا، ويربط حصانه بـكنيسة القديس بولس : «الفـاتيكان»، ويعلف الشعـير في مذبح الكنيـسة لحصـانه، ومات وهو خارج للجهاد لفتح إيطاليا .

الشجاعة : كان رحمه الله يخـوض المعارك بنفسه ويقاتل الأعداء بسـيفه، وفي إحدى المعارك في بلاد البلقـان تعرض الجيش العثـماني لكمين من قبل زعيم البـوغدان -جنوب رومانيـا- استفـان، حيث تخفى مع جـيشه خلف الأشجـار الكثيفـة المتلاصقـة، وبينما المسلمون بجـانب تلك الأشجار انهـمرت عليهـم نيران المدافع الشديدة من بين الأشـجار وانبطح الجنود على وجوههم، وكاد الاضطراب يسود صفوف الجيش لولا أن سارع محمد الفاتح، وتباعد عن مرمى المدافع وعنف رئيس الإنكشـارية محمد الطرابزوني على تخاذل جنده، ثم صـاح فيـهم: «أيهـا الغزاة المجـاهدون كونوا جند الله ولـتكن فيكم الحـميـة الإسلامية» وأمسك بالترس واستل سيفه، وركض بحصانه، واندفع به إلى الأمام لا يلوي على شيء، وألهب بذلك نار الحماس في جنده؛ فانطلقوا وراءه واقـتحموا الغابة على من فيها ونشب بين الأشجار قتال عنيف بالسيوف استمر من الضحى إلى الأصيل .

وصية القائد الرباني محمد الفاتح لابنه :

هذه الوصية قالها الفاتح لابنه وهو على فراش الموت، والتي تـعبر أصدق التعبير عن منهجه في القيـادة، والحكم بعد حياة حافلة في سدة الحكم لأكـثر من ثلاثين سنة، وتعبر عن قيمه ومبادئه التى آمن بها، والتي يتـمنى من خلفائه من بعده أن يسيروا عليها، والتي تحتوي على صيانة الدين وحراسـة الأمة، وصناعة الحياة في توازن فريد، لا يكون إلا في دين الإسلام وقادته الربانيين « كن عادلاً صالحًا رحيـمًا وابسط على الرعية حمايتك بدون

تميـيز، واعمـل على نشر الدين الإسـلامي فإن هذا هو واجب الملوك علـى الأرض، قدم الاهتمام بأمـر الدين على كل شيء ولا تفتر في المواظبـة عليه، ولا تستخـدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ولا يجتنبون الكبـائر، وينغمسون في الفواحش وجانب البدع المفسدة، وباعـد الذين يحرضونك عليهـا، وسع رقعة البلاد بالجهـاد، احرس أموال بيت المال من أن تتبدد، وإيـاك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك إلا بـحق الإسلام واضمن للمعوزين قوتهم، وابذل إكـرامك للمستحقين، وبما أن العلماء هم بمثـابة القوة المثبوتة في جسم الدولة فـعظم جانبهم وشجـعهم، وإذا سمعت بأحد مـنهم في بلد آخر فاستـقدمه إليك، وأكرمـه بالمال حذار لا يغـرنك المال ولا الجند، وإياك أن تبعد أهل الشـريعة عن بابك، وإياك أن تميل إلى أي عمل يخالف أحكام الشريعـة، فإن الدين غايتنا والهداية منهجنا وبذلك انتصرنا » .

وهكذا تكون حيـاة القادة الربانيين، وهكذا تكون وصاياهم وحـرصهم على دين الله عـز وجل، حتى بعـد مماتهم، ولقد تـوفي رحمـه الله في ٤ ربيع أول سنة ٨٨٦ هـ وهو خارج للجـهاد في سبيل الله، واسـمع بشهادة كـبير مؤرخـي زمانه عبد الحي بن العـماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب، كان من أعظم سلاطين بني عثمان، وهو الملك الضليل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جـهادًا، وأقواهم إقدامًا واجتهادًا وأثبـتهم جأشًا وقوادًا وأكثرهم توكلاً على الله واعتمادًا، وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين، وغزوات كسـر بها أصلاب الصلبان والأصنام من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى».

❋❋❋❋

الباب الرابع

من أسباب النصر والهزيمة

الفصل الأول

من أسباب الهزيمة

قبل حديثنا عن أسباب النصر كان ولا بد أن نتحدث أولاً عن الأسباب التي تؤدي إلى الهزيمة حتى نتلافاها إذا أردنا أن ينصرنا الله على أعدائنا .

وسوف أقوم بسرد أهم الأسباب التي تؤدي إلى هزيمة المسلمين من أعدائهم. أرى أن من أخطر هذه الأسباب وأهمها : -

١- الظلم :

فمن المعروف أن من سنن الله في الكون التمكين للدولة العادلة، ولو كانت كافرة، وإلحاق الذل والهوان بالدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، والله سبحانه قد حرم الظلم على نفسه، قال سبحانه في الحديث القدسي : **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»**(١) . ونفى الله عن نفسه ظلم عباده قال سبحانه: **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[آل عمران: ١٨٢]. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : **«إن الظلم ظلمات يوم القيامة»** (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه : **«اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب»** (٣). فالظلم مرتعه وخيم، يقول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والظلم مرتعه وخيم

ولنتأمل قليلاً في القرى الظالمة، وكيف تم عقاب الله لها يقول سبحانه: **﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**[هود: ١٠٢]. ويقول تباركت أسماؤه: **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** [الأنعام: ١٣٥]. والبغي هو: الظلم .

وحينما نقلب كتاب الله عز وجل نجد الحديث عن أصحاب الأيكة، وقوم تبع

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٧٩)، والبخاري برقم (٢٤٤٧).
(٣) رواه البخاري برقم (٢٤٤٨).

والمؤتفكات، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح، وفرعون وقومه، فكل هؤلاء الأقوام قد أهلكهم الله بظلمهم، يقول سبحانه في شأن قوم نوح: ﴿ **قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ [الشعراء: ١١٦-١٢٢] .

وقال جلت حكمته في شأن قوم هود : ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[الشعراء: ١٢٣-١٤٠] .

وقال جل شأنه في شأن قوم صالح : ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا**

بسوءٍ فيأخذكم عذاب يومٍ عظيمٍ ﴿١٥٦﴾ فعقروها فأصبحوا نادمين ﴿١٥٧﴾ فأخذهم العذاب إنَّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٥٨﴾ وإنَّ ربك لهو العزيز الرحيم﴾[الشعراء: ١٤١-١٥٩].

وقال تباركت أسماؤه في شأن قوم لوط: ﴿كذبت قوم لوطٍ المرسلين ﴿١٦٠﴾ إذ قال لهم أخوهم لوطٌ ألا تتقون ﴿١٦١﴾ إني لكم رسولٌ أمينٌ ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قومٌ عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله أجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزًا في الغابرين ﴿١٧١﴾ ثم دمرنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾[الشعراء: ١٦٠-١٧٥].

وقال سبحانه وتعالى في شأن قوم شعيب: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيبٌ ألا تتقون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسولٌ أمينٌ ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين ﴿١٨٤﴾ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿١٨٥﴾ وما أنت إلا بشرٌ مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ﴿١٨٦﴾ فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين ﴿١٨٧﴾ قال ربي أعلم بما تعملون ﴿١٨٨﴾ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يومٍ عظيمٍ ﴿١٨٩﴾ إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٩٠﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾[الشعراء: ١٧٦-١٩١].

وقال في شأن فرعون وقومه: ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ﴿٥٣﴾ إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون ﴿٥٤﴾ وإنهم لنا لغائظون ﴿٥٥﴾ وإنا لجميعٌ حاذرون ﴿٥٦﴾ فأخرجناهم من جناتٍ وعيونٍ ﴿٥٧﴾ وكنوزٍ ومقامٍ كريمٍ ﴿٥٨﴾ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴿٥٩﴾ فأتبعوهم مشرقين

(٦٠) ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾[الشعراء: ٥٣-٦٥]، وقال في شأن قوم تبع: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧].

ولِمَ نذهب بعيدًا؟ ففي العصر الحديث وبالتحديد في يونيو ١٩٦٧م هُزِمت الجيوش العربية شر هزيمة، قد يقول قائل: إن هذا راجع إلى عدم التخطيط السليم، أو راجع إلى عدم تقدير قوة العدو تقديرًا سليمًا، أو راجع لعدم الاستعداد كل ذلك وغيره قد يبدو صحيحًا، ولكن أضف إلى ذلك الظلم الذي استشرى وعم البلاد والعباد، ولم ينج منه إنسان من أجل ذلك جاءت الهزيمة المنكرة درسًا قاسيًا للطواغيت، ولتكون عبرة لكل من تسول له نفسه ظلم أولياء الله، وحبسهم وتعذيبهم وتقتيلهم، وليعلم أن الله سوف ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة، وسوف يحل به الذل والهوان إلى أن يلقى الله عز وجل، وهناك العدل المطلق الذي لا يترك نقيرًا ولا قطميرًا وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

٢- الغفلة عن العدو:

إن الإنسان حينما يصاب بمرض ما ويذهب إلى الطبيب يبدأ الطبيب أولاً بتشخيص المرض تشخيصًا دقيقًا، ثم بعد ذلك يقوم بكتابة الوصفة الطبية، والتي تحتوي على العقاقير اللازمة للقضاء على هذا المرض، وحينها يتم الشفاء بإذن الله، ولكن إذا فشل الطبيب في تحديد الداء فلن يصف الدواء الناجع للقضاء على المرض، وكذلك الأمم إن غفلت عن عدوها ولم تستعد له الاستعداد الكافي، وتعرف ما لديه من قوة وعتاد وعدد، فلن تنتصر عليه، فالله يقول للفئة المؤمنة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال: ٦٠].

إن الله سبحانه حينما خلق آدم عليه السلام وزوجه أخبرهما أن هناك عدوًا يتربص بهما، ومن الواجب عليهما أن يأخذا حذرهما حتى لا يوقعهما في الشر، قال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا

﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه:١١٧]. فعدونا ظاهر للعيان وضوح الشمس في رابعة النهار، ولكننا نتغافل عنه مرة بدعوى السلام، وأخرى بدعوى أننا جزء من منظومة العالم المتحضر الذي لا حاجة فيه لإشعال الحروب، وتارة بحجة أننا لا طاقة لنا بحرب عدونا فلا داعي لمجرد التفكير في حربه حتى ولو قتل إخواننا، و اغتصب المال والأرض والعرض، وتارة أخرى بدعوى التنمية، وأن التنمية أهم من الحروب الآن، الحرب تستنزف الموارد ذلك صحيح إن كانت الأرض الإسلامية كلها محررة، ولا يوجد عدو يتربص بها، ويحيك لها المؤمرات فيغرقها تارة في دوامة العنف، وأخرى في دوامة المخدرات، وثالثة في إثارة الحروب والمنازعات بين الأشقاء .

فمن واجب الأمة الإسلامية اليقظة والحذر لأعدائها؛ لأنهم كثر فهناك اليهود الذين يحتلون الأرض المباركة أرض فلسطين بما فيها المسجد الأقصى المبارك، وهناك الصليبيون في أوربا وأمريكا، والذين يعملون ليل نهار سراً وعلانية في حرب سافرة، وأخرى مقنعة للقضاء على المسلمين، وهناك السيخ والهندوس ولا يخفى على أحد ما يقومون به من تقتيل وتشريد للمسلمين في كشمير، ومن هدم للمساجد في الهند؛ لإقامة معابد يعبدون فيها البقر، وهناك الشيوعيون، وعلى رأسهم الروس الملحدون، والذين يقتلون ويشردون ويغتصبون أعراض المسلمين وأرضهم في الشيشان، وهناك العلمانيون، وهم لا يقلون خطورة عن الأعداء السابقين.

فكل هؤلاء الأعداء يكيدون لأمتنا ليل نهار للنيل منها، ومع ذلك نقيم علاقات معهم وسفاراتهم منتشرة في أرض المسلمين،ولم يقف الأمر عند ذلك، بل استعنا بجيوشهم، والتي تربض في أراضينا، وشعوبهم تمرح في أراضي المسلمين تأكل من خيراتنا وتحاربنا بأموالنا، والتي نستثمرها عندهم فهل يجوز هذا يا أمة الإسلام ؟!!

فنحن نسمع ونقرأ ونشاهد ما يقوم به أعداء الأمة من تصنيع أسلحة بيلوجية وكيميائية ونووية ونتروجونية، وآخر هذه الأسلحة السلاح الجيني، والذي يعمل اليهود جاهدين على استخدامه ضد العرب والمسلمين، وما زالوا في طور التجارب حتى الآن .

والسؤال الذي يطرح نفسه ماذا صنع المسلمون من أسلحة للذود عن أرضهم ورد عدوان أعدائهم ؟ .

لقد صنع المسلمون العديد من الأسلحة، ولكنها لا ترقى إلى مستوى أسلحة الأعداء، ومما يثلج الصدور قيام باكستان بصنع القنبلة النووية، وهذا السلاح ينبغي لجميع الدول الإسلامية امتلاكه؛ لأنه سلاح يسبب الرعب للأعداء، ولكن بدلاً من ذلك سمعنا بعض حكام المسلمين يشكك في سلاح باكستان على الردع، وأنه كان ينبغي لباكستان الاتجاه نحو التنمية، بدلاً من صنع السلاح النووي، والذي يكلف أموالاً كثيرة، وهذا وأمثاله في غفلة عن الأعداء الذين يضحون بالغالي والنفيس في سبيل امتلاك أحدث الأسلحة والسيطرة بها على العالم الإسلامي، وقد تم لهم ما أرادوا. فيتحتم على المسلمين امتلاك السلاح النووي والكيميائي والبيولوجي، وأقمار للتجسس وغواصات قادرة على حمل رؤوس نووية بالإضافة للأسلحة التقليدية، وإنفاق أغلى ما تملكه الأمة في سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة، وأن تصنع هذه الأسلحة بأيدٍ إسلامية بدلاً من استيرادها من الشرق أو الغرب، والمسلمون يمتلكون العقول القادرة على عمل المستحيل، ولكن هذه العقول هاجرت إلى الغرب لما رأوه من إهمال لهم في بلدانهم؛ لأن ما يقطع نياط القلب، ويجعل الإنسان يموت كمدًا ما يراه من تكريم للتافهين والتافهات باسم الفن، وإهمال العلم والعلماء، فأصبحنا في حالة يرثى لها، وليعلم كل إنسان في هذه الأمة أنه مسؤول يوم القيامة عما قدمه لدين الله .

فأعداؤنا لا يغفلون عنا يعملون ليل نهار دون كلل أو ملل للنيل منا وبذر الفرقة والنزاع بيننا، وهذا هو دأبهم دائمًا؛ لذلك يجب علينا نحن المسلمين أن نكون متيقظين دائمًا فلا نغفل عنهم حتى نفشل خططهم ونرد سهامهم إلى نحورهم ونحرر المسجد الأقصى من براثن اليهود الملاعين، ونحرر كل شبر مغتصب من أرض الأمة الإسلامية، وتتحرر الأقليات المسلمة من بطش الكافرين وعدوان الظالمين .

٣- الاختلاف والتفرق :

لقد عمل الاستعمار بعد أن قضى على الخلافة الإسلامية على تقسيمها إلى دويلات،

وجعل بين كل دولتين مشكلة حدودية تكون سببًا في المنازعات والمشاحنات بين الإخوة وقد تصل في كثير من الأحيان إلى التقاتل، وكان أولى بالمسلمين رفع شعار أرض الإسلام للمسلمين، ولكن وللأسف الشديد ضاق أفقنا عند الحدود القطرية والقومية والتعصب لهما، فدب الخلاف وعمت الفرقة، واستطاع الأعداء السيطرة على أمتنا اقتصاديًا وسياسيًا واحتلال الكثير من أراضيها . قال تباركت أسماؤه : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[آل عمران:١٠٣]. وقال جل شأنه : ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٩٢]، ويقول الرسول الكريم: «**يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار**» .

قال الشاعر :

وتأبى العصي إن اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

ويحدونا أمل كبير في قيام وحدة شاملة بين جميع المسلمين، ولتكن قيام بعض التكتلات بين بعض الدول العربية من أمثال مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي، النواة الأولى في تحقيق ذلك .

٤- الاحتكام لغير شرع الله :

إن من أسباب هزيمة الأمة أمام أعدائها يعود إلى عدة أسباب أخطرها جميعًا تحكيم غير شرع الله، فالله سبحانه وتعالى حينما خلق المكلفين من الإنس والجن أرسل لهم رسلاً وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنزل معهم الشرائع التي تنظم حياتهم مع ربهم ومع أنفسهم، ولو تركهم سبحانه دون منهج لكانوا كالأنعام لا ينكرون منكرًا ولا يعرفون معروفًا .

وفي قانون البشر نجد صانع أي آلة يضع لها قانونًا تسير عليه فإن حادت عنه أصابها التلف، فإذا كنا نرضى هذا للبشر أفلا نرضاه لخالق البشر، الذي وضع لنا كتابًا نسير عليه في حياتنا، فيكون السير عليه سببًا في سعادتنا في حياتنا وبعد موتنا .

ولكن عبثًا حاولت طائفة ممن فقدوا هـويتهم الإسلامية تحكيم غير شرع الله ظنًّا منهم أنه الأفضل والأصلح، وذلك لأنه يرضي أهواءهم فعم الفساد العباد والبلاد .

المسلمون مطالبون بتحكيم شرع الله في حياتنا؛ لأنه المنقذ لنا من الضلال والزلل، إن الناظر بعين البصيرة إلى أحـداث التاريخ يجد أن أمة العرب لم تكن شيئًـا مذكورًا بجانب الفرس والروم، فكانوا جماعات متفرقة تقوم بينهم الحروب لأتفه الأسباب، هذا بالإضافة إلى انتشار الكثير من الـعادات الذميمة من عباده غير الله، وشـرب الخمر، ولعب الميسر، ووأد البنات واعتداء القوي على الضعيف، والأخذ بالثأر، وحينما بعث الله محمدًا ﷺ رسولاً للبـشرية جمعـاء توحد العرب تحت راية الإسـلام، وحملوا مشـعل الهداية والنور للبشرية، فاسـتحقوا ثناء ربهم ومحبة نبيـهم قال سبحانه: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[آل عمران: ١١٠]. ولكن أهل الكفر والإلحاد عملوا على إبعاد الأمة عن مصدر عزها وكرامتها فعملوا على إسقاط الخلافة الإسلامية، وفرقوهم إلى دويلات يدب الوهن في أوصالها والفرقة والخلاف يمزقها ووجهوا إعلامهم الرخيص لغزو الأمة فكريًّا في عقر دارها، ولكي ننتصر عليهم اقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا وثقافيًّا علينا أولاً العودة إلى النبعين الصافيين مصدر عزتنا وكرامتنا كتاب ربنا وسنة نبينا وتحكيمهما في حياتنـا، وصدق الله إذ يقول: **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [المائدة: ٥٠]. وصدق الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: «... **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**»[(١)].

٥- موالاة الكافرين والمنافقين، وعدم الحذر منهم :

لقد حذرنا الله من ذلك تحذيرًا شديدًا، وبدأ وأعاد حتى قال العلامة الشيخ حمد ابن عتيق من أئمة الدعوة -رحمه الله-: «لم يرد في القرآن الكريم بعد الأمر بالتوحيد والنهي عن ضده أكثر من النهـي عن موالاة الكافرين». وفي آية واحدة يتبين لنا حقـيقة الكفار، يقول الله سبـحانه : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾**

(١) رواه مسلم باب حجة النبي برقم (١٢١٨).

أي: لا يقصرون فيما يفسدكم . ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: أحبوا ما يشق عليكم . أي: أحبوا ما يشق عليكم . ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فما استطاعوا إخفاءها . ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران:١١٨] ولكن أين الذين يعقلون؟

لقد كان هذا هو السبب في هزيمة الدولة العباسية أمام التتار لما وثقت بالرافضي الخبيث ابن العلقمي وولته الوزارة، وكان ذلك الخبيث ممن مالأ التتار وكاتبهم من أجل أن تهدم الخلافة وتسقط الدولة، فكان ذلك وحصل له ما أراد، ولكن الله كان له بالمرصاد، فجازاه ملك التتار أن قتله، وقال له: أنت لا تستحق أن نثق فيك، فقتله شر قتلة، وما أكثر أمثال ابن العلقمي في هذه العصور .

وإن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم يجدهم فريقين، فريق انبهر ببريق الحضارة الغربية فارتمى في أحضان أمريكا ودول أوربا، والفريق الآخر انبهر بالفكر الشيوعي فارتمى في أحضان الروس الملحدين وتلك والله طامة كبرى، وبلية عظمى فالله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣]، فتغافلنا عن هذه الآية الكريمة، وأصبح الكل يهرول لعله يفوز برضا هؤلاء الكفرة، ولو على حساب دينه وعقيدته وحجتهم في ذلك أنهم يقولون كما قال المنافقون من قبل : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥٢] فما النتيجة؟ النتيجة أن هؤلاء القوم خوفوا الحكام من شعوبهم وصوروا لهم الشعوب بأنهم العدو الأول لهم، فعليهم أخذ الحيطة والحذر منهم فامتلأت القلوب خوفًا ورعبًا من الحكام نتيجة ما يتعرضون له من بطش على أيديهم فخاف الحكام من شعوبهم، وتوجست الشعوب خيفة من حكامهم بينما الحاكم في الشرق أو الغرب يعمل قدر استطاعته لنيل رضا شعبه عليه، والشعب يبادله نفس الشعور فمتى ترجع العلاقة الحميمة بين حكام المسلمين وشعوبهم ؟!!

ومما يؤسف له أننا أخذنا من الحضارة الغربية ما يضرنا ولا ينفعنا، أخذنا منهم العري

والتفسخ الأخلاقي، مرة بدعوى الحضارة والمدنية، وأخرى بدعوى العولمة، وثالثة بدعوى تحرير الشعوب من التخلف والرجعية، ولم نأخذ منهم التقدم التكنولوجي، فالحياة المادية التي بلغ فيها الغرب شأنًا بعيدًا قد أغرت ضعاف النفوس من المسلمين فانبهروا بتلك الحضارة العلمانية الخالية من روح الإيمان فانساقوا وراءهم ووصموا الإسلام بالتخلف والرجعية ونسوا، بل تناسوا أن حضارة الغرب ما قامت إلا على أكتاف علماء المسلمين وليقرأ هؤلاء التاريخ قراءة متأنية ليعرفوا أن أوربا كانت ترسل فلذات أكبادها إلى الأندلس أيام الحضارة الإسلامية ليتعلم أبناؤها على يد علماء المسلمين، ومن ثم ينشروا هذا العلم في بلادهم هذا بالإضافة إلى أن العلم الذي خلفه علماء المسلمين ظل يدرس في مدارس وجامعات أوربا حتى القرن الثامن عشر، ولقد شهد بذلك المستشرقون والحق ما شهد به الأعداء .

لذلك ما كان ينبغي للمسلمين التحالف مع هؤلاء القوم واتخاذهم أصدقاء، ورفع شأنهم الذي وضعه الله فهؤلاء الكفار عبدوا المادة واعتبروها إلههم الأعظم، وبذلوا في سبيلها الغالي والنفيس واعتبروا الدين أفيون الشعوب، فشاع عندهم التفسخ الأخلاقي والتفكك الأسري فأشاعوا ذلك بين المسلمين؛ ولكن هل أرسلوا علماءهم ليعلمونا كما تعلموا منا؟ لا لكنهم رضوا لنا أن نستورد منهم التكنولوجيا؛ لنكون لهم أتباعًا فانهزمنا أخلاقيًا، وتخلفنا علميًا، ونسبنا هذا التخلف للإسلام والإسلام منه براء، بل لقد عني الإسلام بالعلم وأولاه جل عنايته ورعايته ولو لم ينزل من القرآن في شأن العلم إلا قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق: ٥]. لكفانا، إذن لكي ننتصر عليهم علينا أن نأخذ بأسباب العلم، ولا نكون لهم أذنابًا؛ لأننا الآن ينطبق علينا قول سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لا تبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله: آليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»[1]. (فمن : أي فمن غيرهم).

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٩)، والبخاري برقم (٧٣٢٠).

٦- الاغترار بالكثرة :

بل الحذر من الاغترار بالكثرة، والعُجب بالعدة والعتاد، فالكثرة لا تنفع أصحابها شيئًا إذا كانت النفوس صغارًا .

قال المتنبي :

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

فالتفاخر بكثرة العدد مذموم شرعًا، بل في غالب أمره يؤدي بأصحابه إلى العجب، ثم الانهزامية، وقد جاءت نصوص تبين ذم الكثرة العددية في غالب أحوالها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[الأنعام:١١٦]. ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[يوسف:١٠٦]. ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[يوسف:١٠٣]. ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[البقرة:٢٤٩]. ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ:١٣]. ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾[ص:٢٤]. إلى غير ذلك من الآيات .

ومن السنة عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها**» قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**» قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «**حب الحياة، وكراهية الموت**» (١).

والدليل كذلك على أن من أسباب الهزيمة الاغترار بالكثرة ما حدث للمسلمين في غزوة حنين، حينما خرج رسول الله ﷺ والصحابة الأطهار لملاقاة جيش المشركين الذين أرادوا النيل من المسلمين، وكان عدد المسلمين أكثر من عدد المشركين وهذا العدد لم يكن للمسلمين في أي غزوة من الغزوات السابقة لتلك الغزوة، حتى قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ : لن نهزم اليوم عن قلة،ولكن من بيده النصر أعطاهم درسًا قاسيًا،

---

(١) رواه الإمام أحمد، وغيره .

وأعلمهم أن النصر من عنده سبحانه فانهزم المسلمون في بادئ الأمر، وبعد ما استوعبوا هذا الدرس نصرهم الله على عدوهم قال سبحانه : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[التوبة: ٢٤-٢٦]. فلا ينبغي للمسلمين في أي معركة مع الأعداء أن يغتروا بكثرة العدد؛ لأن كثرة العدد وحدها لا تحقق نصرًا والدليل على ذلك أن معارك المسلمين التي خاضوها بعد غزوة حنين وحققوا فيها النصر لم يبلغ عددهم عدد الأعداء، بل قد يكون في بعض الأحيان نصف أو أقل من ذلك، كما حدثتنا بذلك كتب السير والمغازي ابتداء من غزوة بدر الكبرى ومرورًا بالفرس والروم والتتار والمغول والصليبين، ومع حسن التوكل على الله، والأخذ بأسباب النصر كان الله ينصرهم ويفتح لهم البلاد وقلوب العباد، فيدخل أهل هذه البلاد في دين الله أفواجًا،وتحقق ذلك في بلاد الشام ومصر والعراق وغير ذلك من البلدان التي فتحها المسلمون .

٧- إهمال العلم والعلماء:

مما لا شك فيه أن من أسباب الهزيمة إهمال العلم والعلماء، فعلى مر التاريخ لم نجد أمة تمسكت بالعلم، وأخذت بأسبابه وهزمت بسهولة فنحن أمة اقرأ،ولكن أين أثر هذه الكلمة في حياتنا؟ فكل فرد من الأمة عليه أن يأخذ بأسباب العلم، ويتعلق بأهداب الفضيلة ويعجبني قول الإمام علي رضي الله عنه .

العلم نور وأهل العلم تعرفه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيًّا به أبدًا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وعلى الدول الإسلامية الاهتمام بالعلماء، وتوفير كافة الإمكانات ليبدعوا كل في مجاله، أما أن نهمل العلم، ونبخل على العلماء فالهزيمة ستكون واقعة لا محالة هزيمة في الاقتصاد، هزيمة في التقدم، هزيمة من الأعداء، هزيمة في كل شيء .

٨- الانحراف عن الصراط المستقيم :

إن الانحراف عن الصراط المستقيم سواء كان هذا الانحراف انحرافًا عقائديًّا، أو

انحرافًا عمليًّا، يعني سواء كانت المعاصي في باب الاعتقاد: بالإلحاد في أسماء الله وصفاته، بالشرك الأكبر والشرك الأصغر، أو كان بالردة الكاملة باعتناق المذاهب الكافرة كالشيوعية، والقومية، والعلمانية، أو كان من باب الأعمال أي المعاصي العملية يكون سببًا مباشرًا من أسباب الخذلان والهزيمة .

والمتتبع للقرآن يجد أن هذا هو سبب هلاك الأمم: ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[العنكبوت: ٤٠]. فالأمم السابقة أخذت بسبب ذنوبها، وظلمها لأنفسها، والأدلة على هذا كثيرة، وما عليك إلا أن تقرأ كتاب ربك، وستجد ذلك واضحًا، وعلى سبيل المثال: اقرأ قصة أصحاب سبأ، واقرأ قصة أصحاب السبت، واقرأ سبب إغراق قوم نوح، واقرأ سبب إهلاك قوم عاد وثمود وقوم لوط، وما حصل لقوم موسى، وما حصل لغيرهم من الأمم؛ فستجد الذنوب هي السبب في ذلك .

أولاً: الانحراف العقائدي وأثره: سنضرب على الانحراف في العقيدة مثلين هما شاهد حي على أن الأمة إذا انحرفت اعتقاديًّا، فإنها تضعف وتذل :

الشاهد الأول من القرن الرابع الهجري: فقد شهد مدًّا رافضيًّا شديدًا، فقامت دول رافضية في شرق الجزيرة، في البحرين والأحساء قامت دولة القرامطة، وفي بلاد فارس والعراق دولة بني بويه، وفي بلاد الشام الحمدانيون - أبو فراس الحمداني وجماعته كانوا رافضة- وفي بلاد المغرب قامت الدولة العبيدية الإسماعيلية القرمطية، والتي تسمى زورًا وبهتانًا بالدولة الفاطمية، ثم بعد ذلك انطلقت فأخذت مصر، ثم الحجاز، والقرامطة أهل البحرين وصلوا إلى الحجاز، وأخذوا في ذلك القرن الحجر الأسود، وبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة، ووصلوا إلى دمشق، ولم يبق من بلدان المسلمين سالمًا من المد الرافضي إلا القليل، وأذكر لكم ما قاله الإمام ابن كثير رحمه الله في حوادث حصلت في ذلك الزمن، ثم انظروا إلى تعليقاته رحمه الله على تلك الحوادث .

إنه مع قيام تلك الدول الضالة الرافضية تقدم النصارى من بلاد الروم، فأخذوا بعض

بلاد المسلمين، وفعلوا من الجرائم البشعة ما تقشعر له الأبدان، يذكر الحافظ ابن كثير بعض هذه الحوادث، ثم يعلق عليها، فيقول في حوادث سنة ٣٥٩ هـ : وفيها دخلت الروم أنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والعجائز، وسبوا من أهلها الشيوخ والأطفال نحواً من عشرين ألفًا فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم يعلق على ذلك بقوله: وكل هذا في ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله، ثم يذكر أيضًا في حوادث سنة ٣٥٩هـ أن ملك الروم فعل أعظم من ذلك في طرابلس الشام، وفي السواحل الشامية، وحمص وغيرها، يقول رحمه الله : «ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد ويأسر ما قدر عليه، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبي نحو مائة ألف إنسان، ما بين صبي وصبية، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض في جيشه واشتياقهم إلى أولادهم».

تصوروا عدوًّا من أعداء المسلمين يأتي ويأخذ مائة ألف أسير من المسلمين، ولا يرجع إلا بسبب الأمراض التي فتكت بجيشه، ولم يحاربه أحد من ملوك الرافضة الذين كانوا ملوك الأرض في ذلك الوقت، تذكروا ما ذكرناه في أول الموضوع أن من أسباب النصر القيادة المؤمنة، ويعلق ابن كثير على ما كان يفعله الروافض في ذلك القرن من سب الصحابة، وما يفعلونه من البدع والضلالات، فيقول في حوادث سنة ٣٥١هـ بعد أن ذكر غارات الروم وقتلهم ما لا يحصى من المسلمين قال: «وفيها كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد لعنة الله على معاوية بن أبي سفيان، وكتبوا أيضًا: ولعن الله من غصب فاطمة حقها - يعنون أبا بكر ﷺ-، ومن أخرج العباس من الشورى - يعنون عمر ﷺ - ومن نفى أبا ذر - يعنون عثمان بن عفان ﷺ - .

يقول ابن كثير - رحمه الله - : «رضي الله عن الصحابة، وعلى من لعنهم لعنة الله». ثم تكلم قليلاً ثم قال: «ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة - يقصد ابن بويه وكان رافضيًّا- لم ينكره ولم يغيره قبحه الله وقبح شيعته من الروافض» .

انظروا إلى تعليق ابن كثير يقول: «لا جرم أن الله لا ينصر هؤلاء، وكذلك سيف الدولة ابن حمدان بحلب فيه تشيع، وميل إلى الروافض، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال

هؤلاء، بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم، وتركهم أنبياءهم وعلماءهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام، وكان فيهم الرفض وغيره، استحوذ الإفرنج على سواحل الشام، وبلاد الشام كلها، حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق، وجميع السواحل وغيرها مع الإفرنج والنواقيس النصرانية، والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع، وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع» - ثم بعد ذلك صور حال المسلمين- والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين وأهل هذه المدن - يقصد دمشق وحلب وحمص وحماة - التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الإفرنج، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد خير الأنبياء» .

هذا نتيجة الانحراف العقائدي الذي استحوذ على هذه الأمة في القرن الرابع الهجري، بل استحوذ على حكامها وقادتها في ذلك الوقت .

أما الشاهد الثاني: فأضربه لكم من عصرنا هذا : فقد هُزم العرب أمام اليهود رغم أنه لا تناسب بين العددين، ورغم ما كان يتشدق به طواغيت العصر في الشام، وفي مصر من أنهم سيلقون باليهود في البحر، وسيفعلون وسيفعلون، كان أولئك يرفعون لواء القومية، ولواء الاشتراكية، ويحاربون الإسلام وكان طاغوتهم الأكبر قد قتل سيد قطب رحمه الله قبل المعركة بسنة، ثم لما جاءت المعركة كانت إذاعاتهم ترفع النشيد الآتي تقول موجهة الخطاب لطائرات اليهود :

ميراج طيارك هرب خايف من نسر العرب
والميج علت واعتلت في الجو تتحدى القدر

هذا كانت تتغنى به إذاعة دمشق في ذلك الوقت، إذن كانت تلك الهزيمة الساحقة التي أخذ فيها ما تبقى من فلسطين، وأخذت أضعاف أرض فلسطين مثل سيناء، والجولان كانت بسبب تلك القيادات الفاجرة المنحرفة التي تسلطت على رقاب المسلمين، وكانت سبب من أهم أسباب الخذلان والهزيمة .

ثانيًا: الانحراف في ناحية المعاصي العملية، وبالإمكان أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام:

١- معاصي تؤثر أثناء المعركة:

كمعصية أمر القائد في أثناء المعركة، مثل ما حصل في يوم أحد لما ترك الرماة الجبل، وخالفوا أمر النبي، فحصل ما حصل مما تعرفونه .

٢- معاصي تؤثر قبل المعركة :

أ- الظلم: الظلم ليس سببًا من أسباب الهزيمة فحسب، بل هو سبب من أسباب هلاك الأمم وسقوط الدول، وتغير الأحوال، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلمة استقرائية ماتعة يقول: «إن الدول تبقى مع العدل وإن كانت كافرة، وتسقط مع الظلم وإن كانت مسلمة»[١] .

ب- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهو سبب من أسباب الهلاك ونزول العذاب، يقول الله: ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[هود:١١٦، ١١٧]. إذا كان أهلها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يهلكهم الله، أما إذا تركوا ذلك، وانتشرت الرذائل، وأصبحت علانية، فليسوا مهددين بالهزيمة، بل بأعظم من ذلك، وهو أن يهلكهم الله، ويحل بهم العذاب،وفي حديث أبي بكر ﷺ: أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[المائدة:١٠٥]. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»[٢] .

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب الاختلاف، وسبب من أسباب التفرق، وهذا من أهم أسباب الهزيمة .

ج- نقض عهد الله وعهد رسوله : فقد جاء في حديث ابن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن...**» فذكرها، ومنها : «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم**

---

(١) «السياسة الشرعية» ابن تيمية .

(٢) رواه الترمذي، وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم»[1]. ومن المعلوم أن العدو لن يستطيع أن يأخذ بعض ما في أيدي المسلمين من الأموال، أو من الأراضي، أو من غيرها إلا بعد أن يُهْزَمَ المسلمون، ويستذلوا .

د- الغلول: والغلول المراد به أخذ مال المسلمين بغير حق: جاء في الموطأ عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال: «ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقي في قلوبهم الرعب...». ومن المعلوم أنه إذا ألقى الله الرعب في قلوب قوم فإنهم لن يواجهوا العدو وسيهزمون ويولون الأدبار هذا أمر لا شك فيه .

هـ- من المعاصي التي توعد الله عليها بأن أصحابها يهزمون ولا ينصرون، البطر والفخر والغرور والعجب: قال سبحانه: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [الأنفال: ٤٧]. فهذا الرياء والبطر والكبر في الأرض، ثم الصد عن سبيل الله أي: الصد عن دينه حتى ولو عن جزئية من جزئيات الدين، الصد عنها منذر بوقوع الهزيمة كما دلت عليه هذه الآيات . وكذلك العجب قال الله : ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [التوبة: ٢٥]. فلما أعجب الصحابة بأنفسهم وبكثرتهم، وقالوا: لن نغلب هذا اليوم من قلة؛ ما أغنت عنهم كثرتهم شيئًا، وبعض الروايات تقول : إن هوازن لم يتجاوزوا الثلاثة آلاف رجل .والصحابة كانوا عدة أضعاف لهوازن، ومع ذلك ولوا مدبرين لما أعجبوا بأنفسهم، ونسوا الاعتماد على ربهم عز وجل.

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي: أنك عندما تقرأ في القرآن في أعقاب ذكر غزوات النبي؛ لا تجد أبدًا أن الله يمدح المؤمنين، ويشيد ببطولاتهم، إنما يبين لهم أن هذا النصر الذي تحقق إنما هو فضل منه: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[آل عمران: ١٢٦]. ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[الأنفال: ١٠].

بل إنك تجد أن الله ينبه المؤمنين إلى أخطاء وقعت منهم، وهم منتصرون، فيقول لهم يوم بدر: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ**﴾ [الأنفال: ٦٧] .

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره .

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** . . .﴾ ثم قال لهم بعد : ﴿. . . . **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: ١]. كأن هذا إشارة إلى أن اختلافكم في قسمة الغنائم والأنفال ليس بجيد، فاحذروا أن تخالفوا أمر الله وأمر رسوله .

فإذن: ما قال لهم لقد أحسنتم وفعلتم وفعلتم . . . ما أشاد بهذه البطولات التي فعلها الصحابة يوم بدر، بل نبههم على أخطاء، وذكرهم بألاَّ يعتمدوا على أنفسهم، وألا يعجبوا بأنفسهم، إنما النصر من عند الرب وحده لا شريك له، كذلك في أحد عندما تقرأ قصتها تجد أن الله نبههم على مكمن الخطأ وسبب ما حاق بهم، وما حصل لهم . فالله سبحانه ينبهنا على أن المسلم دائمًا يجب أن يكون خاشعًا لله، معتمدًا عليه مستنصرًا به، مخلصًا له، يعلم أن النصر من عنده ليس بعدد ولا بعدة .

٣- وهناك معاصي تؤدي إلى ضرب الذلة على الأمة المؤمنة ضربًا مؤبدًا: وهذه المعاصي تؤثر تأثيرًا مباشرًا في هزيمة الأمة أمام أعدائها، وقد بينها النبي ﷺ بقوله: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» (١).

والعينة: نوع من أنواع الربا، والربا قد انتشر الآن في بلدان المسلمين فحقت عليهم الذلة، «**ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد**»، يعني: الإخلاد إلى الدنيا والالتفات إليها .

«**وتركتم الجهاد**» من أسباب ضرب الذلة، «**سلط الله عليكم ذلاً**»، ليس الذل على اليهود فقط، بل الذل يضرب أيضًا على هذه الأمة إذا عصت أمر ربها، «**سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه**» لا يرفعه إلى متى ؟ ليس إلى أن يصبح عندكم مليون جندي، ولا أن يصبح عندكم ألف طائرة، ولا أن يصبح عندكم خمسة آلاف دبابة، لا . . . وإنما «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» فإذا رجعتم إلى دينكم يرفع الله عنكم الذلة، بهذا الشرط الوحيد، وهو أن ترجعوا إلى دينكم كله من أوله إلى آخره .

****

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه، رواه أحمد وأبو داود .

الفصل الثاني

من أسباب النصر الشرعية

١- التمسك بالكتاب والسنة :

إن التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهجًا وعقيدة، في ذلك الفلاح كله، والخير كله، فلا فلاح إلا بالأخذ بهما معًا، وتحكيمهما في جميع مجالات الحياة ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[آل عمران: ١٣٢]. ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ : «**... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**»(١). قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**». والنصوص في هذا الموضع كثيرة جدًّا .

وبكل حال فالتمسك بالكتاب والسنة من أعظم أسباب الفلاح في الدين والدنيا، ويتبع التمسك بهما - أو من لازم التمسك بهما - محاربة البدع والتحذير منها، وعدم الغفلة أو التهوين من شأنها مهما صغرت، فإن البدع إذا غُفل عنها زاد انتشارها، فكيف إذا أقرها من علمها أو هون من شأنها؟ لا شك أن هذا من الجهالة بمكان، بل هو من أعظم أسباب الهزيمة النفسية، ويُلقى أكثر حمل هذا على من زعم الإصلاح بخلاف ما كان عليه منهج سلف الأمة وقدوتها .

٢- تحقيق التوحيد في القلوب :

إن المجاهد في سبيل الله لا بد له من تحقيق التوحيد في قلبه قبل أن يذهب إلى ميادين القتال؛ لأنه أدعى لأن يثبت في ساحة المعركة فلا يجبن؛ لأنه يدافع عن عقيدة فإما النصر وإما الشهادة، وتحقيق التوحيد في القلوب من الأهمية بمكان حيث نجد أن رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه أول ما دعوا إليه أقوامهم دعوهم إلى التوحيد.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ**

---

(١) رواه مسلم في باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف: ٥٩]. وقا جل شأنه: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾[الأعراف: ٦٥]. وقال تباركت أسماؤه: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال جلت قدرته: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقال جل شأنه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[النحل: ٣٦]. وقال جلت حكمته: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء: ٢٥].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله؟**»[١].

عن حصين بن عبد الرحمن: قال كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة. ولكني لدغت. قال: فماذا صنعت؟ قلت: استرقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. فقال: وما حدثكم الشعبي؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي، أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي. فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت، فإذا سواد عظيم. فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فنظرت، فإذا سواد عظيم. فقيل**

(١) رواه مسلم برقم (٢٠).

لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين **يدخلون الجنة** بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . **وقال** بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله. وذكروا أشياء . **فخرج عليهم** رسول الله ﷺ فقال: **«ما الذي تخوضون فيه؟»** فأخبروه . فقال: **«هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»**. فقام عكاشة **بن محصن**. فقال: ادع الله أن يجعلني منهم . فقال: **«أنت منهم»**، ثم قام رجل آخر **فقال: ادع الله** أن يجعلني منهم فقال: **«سبقك بها عكاشة»** (١).

قال أبو العتاهية :

ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالد

وبدؤهم كان من ربهم ... وكل إلى ربه عائد

فيا عجبًا كيف يعصى ... الإله أم كيف يجحده جاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

٣- تحقيق الإيمان في القلوب :

الإيمان قول وعمل : ويكون ما ينجلي ويظهر وهو الواقع باللسان ويسمى إقرار وشهادة، أما العمل بالجوارح منها: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، والجهاد في سبيل الله، وأمور أخرى .

الإيمان قول باللسان : قال سبحانه وتعالى: **﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾**[البقرة: ١٣٦].

تصديق بالقلب : قال جلت حكمته: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[الحجرات: ١٤]. فأخبر سبحانه أن القول العاري عن الاعتقاد ليس بإيمان،

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٠).

وأنه لو كان في قلوبهم إيمان لكانوا مؤمنين بجمعهم بين التصديق بالقلب والقول باللسان.

ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ؟**»[(١)].

عمل بالجوارح: قال تباركت أسماؤه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾[الأنفال: ٢-٤].

قال الحليمي: في هذه الآية إنما استوجبوا اسم المؤمنين حقًّا لمكان الأعمال التي وصفهم الله تعالى بها، ولم تكن الأعمال المتعبد بها هذه وحدها، صح أن المراد بذكرها هي وما في معناها من الأعمال المفروضة أو المندوب إليها، فالصلاة إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأبدان خاصة، والإنفاق مما رزق الله إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأموال، ووجل القلب إشارة إلى الاستقامة من كل وجه، ويدخل فيها إقامة الطاعات والبعد عن المعاصي[(٢)].

وهذه هي بعض صفات المؤمنين على سبيل الإجمال لا الحصر. من هذه الصفات أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله. قال جل شأنه: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[البقرة: ٢٨٥].

ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله. قال جلت حكمته: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة: ٧١].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٠).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (١/١١٩).

ومن صفاتهم أنهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. قال تباركت أسماؤه: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[التوبة: ٨٨].

وسوف نذكر بمزيد من الإسهاب صفاتهم التي وردت في سورة المؤمنون، فهذه صفات ست لأهل الإيمان وردت في هذه السورة:

الصفة الأولى: الخشوع في الصلاة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. والخشوع في الصلاة خشوع القلب، وهو الخضوع والتذلل مع الخوف وسكون الجوارح. قال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون له راحة وقرة عين، كما قال النبي ﷺ: «**حبب إليَّ الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]. والخشوع محله القلب فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه؛ إذ هو مليكها. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى**»[2].

الصفة الثانية: الإعراض عن اللغو:

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾[المؤمنون: ٣] اللغو في اللغة: ما لا خير فيه من الكلام وما لا يغني من قول أو فعل، وفي الشرع: ما كان حرامًا أو مكروهًا أو مباحًا لا خير فيه. فالمؤمنون يتركون كل ما كان حرامًا أو مكروهًا أو مباحًا لا خير فيه ولا يعني الإنسان، ولا حاجة له فيه، وذلك يشمل الكذب والهزل والسب وجميع المعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال عز وجل في سورة الفرقان: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**﴾ [الفرقان: ٧٣].

ومما يؤسف له أنه قد استبد اللهو في عصرنا الحاضر في أفعال وأقوال كثير من الناس، وذلك بالاشتغال برؤية ما لا يفيد في التلفاز والإنترنت وقراءة المجلات الخليعة

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن أنس.

(٢) رواه الترمذي.

واللعب بالأوراق والنرد والشطرنج، واللهو والعبث وضياع الوقت فيما لا يفيد فكانت النتيجة أن تخلفت أمتنا عن ركب الحضارة .

إننا إن عملنا بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ وطبقها كل منا على نفسه كما كان يفعل السلف الصالح؛ لأصبحنا في حالة أخرى غير التي نحن عليها الآن من السبات العميق والغفلة الشديدة .

الصفة الثالثة : يؤدون زكاة أموالهم:

قال جلت حكمته: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[المؤمنون: ٤]. قال ابن كثير في هذه الآية الكريمة: والأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال، فالمؤمن يؤدي زكاة ماله المفروضة عليه ولو فعل كل منا ذلك ما وجد فقير يستحق الزكاة فما وجد فقير إلا ووجد غني لا يؤدي زكاة ماله. وتزكية المؤمن نفسه من الدنس والمعصية وتطهيرها من أمراض القلب، كالحقد والحسد و الكراهية والبغض ونحوها .

الصفة الرابعة : حفظ الفرج من الزنى واللواط والسحاق والاستمناء :

قال تباركت أسماؤه : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦، ٧].

فمن صفات المؤمنين أنهم يحفظون فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنى ولواط وسحاق وغيره، ولا يقربون سوى أزواجهم اللاتي أحلهن الله لهم، أو بملك اليمين فما أعظمها من صفة، فما انتشر المرض اللعين المسمى اختصاراً بالإيدز والأمراض الأخرى مثل : الزهري، والسيلان، والسل إلا بسبب هذه العلاقات المحرمة، وصدق النبي الكريم حيث قال: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...**» [١] .

وجاء في تقرير أعدته وكالة الأنباء الألمانية : «إن مرض الإيدز أقل انتشاراً بين المسلمين وذلك؛ لأنهم متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم وتعاليم إسلامهم» والحق ما شهد به الأعداء .

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم والبيهقي عن ابن عمر.

الصفة الخامسة : أداء الأمانة والوفاء بالعهد :

قال جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[المؤمنون :٨] . فالمؤمنون يحفظون حرمة الأمانة وقدسية العهد، فإذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدوا الأمانة إلى أهلها، وإذا عاهدوا أوفوا بذلك، فأداء الأمانة والوفاء بالعهد صفة أهل الإيمان، أما الخيانة والغدر وخلف الوعد، وعدم الوفاء بمقتضى العقد بيعًا أو إجارة أو شركة أو غيرها فهي صفة أهل النفاق الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**»[١]، قال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[الأنفال:٢٧]. والأمانة والعهد يشملان جميع ما ائتمن الإنسان عليه من ربه أو من الناس كالتكاليف الشرعية والودائع وتنفيذ العقود .

الصفة السادسة : المحافظة على الصلاة :

قال عز من قائل: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[المؤمنون:٩] فالمؤمنون يواظبون على الصلاة ويؤدونها في أوقاتها، مع استكمال شروطها . عن ابن مسعود قال: «سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» . قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»[٢].

فالصلاة فضلها عظيم كما قال النبي ﷺ : «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ عليها إلا مؤمن**» [٣]. والمعنى أن الزموا الاستقامة بالمحافظة على إيفاء الحقوق ورعاية الحدود والرضى بالقضاء، ولن تحصلوا ثواب الاستقامة . تلك هي صفات المؤمنين وصفات رسول الرحمة والهداية، الرسول ﷺ .

روى النسائي في تفسيره عن يزيد بن بابنوس قال: قلت لعائشة أم المؤمنين : كيف كان خلق الرسول ﷺ ؟ قالت: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. فقرأت ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا**

(١) رواه مسلم برقم (٥٩)، والبخاري برقم (٣٣)، ورواه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة .
(٢) رواه مسلم برقم (٨٥)، والبخاري . (٣) رواه أحمد وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي .

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:١-٩]. ثم قالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ»[1].

٤- التوبة والرجوع إلى الله واجتناب المعاصي :

فالمعاصي مفتاح لكل شر، ومغلاق لكل خير، وبسببها يتصدع كيان الأمة وتزول هيبتها، وتكون مقودة بعد أن كانت قائدة، قال ﷺ : «**إذا تبايعتم بالعينة، ورضيتم بالزرع، واتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[2].

قال الله سبحانه في شأن التوبة : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾** [التحريم:٨] . فالتوبة والرجوع إلى الله عز وجل من أسباب نصر هذه الأمة على أعدائها؛ لأن النصر لا ينزل من عند الله على العصاة المذنبين، وإذا انتصروا فإنما هي مدة قصيرة، ويذهب عنهم النصر، وإنما ينزل النصر ويدوم على التائبين العائدين إلى الله عز وجل، وإن نزلت بهم الهزيمة فإنما سببها عصيانهم وعدم رجوعهم إلى الله عز وجل قال الله سبحانه: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾** [الشورى: ٣٠].

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة .

قال تعالى: **﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور:٣١]. وقال

---

(١) رواه النسائي .

(٢) رواه البخاري برقم (٦٣٠٧).

جلت حكمته : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** ﴾[هود:٣]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١) .

وعن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك؛ إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال -من شدة الفرح-: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**» (٢).

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٣).

عن عمران بن حصين : «أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت: يا نبي الله أصبت حدًّا فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليها: فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت مائتني بها**» ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشُكّت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله، وقد زنت؟! فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**» (٤).

عن عبد الله بن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض في ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلا دعاه وتلا عليه هذه الآية ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾[هود:١١٤]، فقال معاذ: يا رسول الله هذا لهذا خاص، أو لنا عامة، قال: «**بل لكم عامة**»(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٠٧).

(٢) رواه مسلم برقم (١٦٩٦).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

(٤) رواه مسلم برقم (١٦٩٦).

(٥) رواه مسلم برقم (٢٧٦٣).

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» (١) .

وها هو الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب فتاب الله عليه: (عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة، فقال: لا . فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة**» قال قتادة: فقال الحسن: ذكرلنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره).

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**»، قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال رسول الله ﷺ : «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**»، قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ : «**فيم أطهرك**» فقال: من الزنى، فسأل رسول الله ﷺ : «**أبه جنون؟**» فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: «**أشرب خمرًا؟**» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله ﷺ : «**أزنيت؟**» فقال نعم: فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز، أنه جاء النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم، ثم جلس فقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**» قال:

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم...»**[١].

قال الإمام علي نظمًا:

فرض على الناس أن يتوبوا	**لكن ترك الذنوب أوجب**
والدهر في صرفه عجيب	**وغفلة الناس فيه أعجب**

٥- كثرة الاستغفار:

إن الاستغفار والعودة إلى الله سبحانه وتعالى سبب من أسباب تنزل النصر على أمة الإسلام، فعلى المسلم أن يلزم الاستغفار؛ لأنه لا يخلو من ذنب سواء كان هذا الذنب من أعمال القلوب كضعف التوكل على الله أو النفاق أو الرياء أو غير ذلك، أو كان من أعمال الجوارح سواء من الكبائر أو الصغائر، ولذلك قال ﷺ: **«كل ابن آدم خطاء فخير الخطائين التوابون،ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»**[٢].

ومن لزم الاستغفار سيفرج له همه ويرزقه من حيث لا يحتسب كما أخبر بذلك الصادق ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»**[٣].

قال الله سبحانه: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾[هود:٣].

وقال جلت قدرته: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[نوح:١٢].

عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: **«اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**[٤].

عن ابن عمر قال كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته استغفر مائة مرة، ثم يقول:

---

(١) رواه مسلم برقم (١٦٩٥).

(٢) رواه الترمذي، وأحمد واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود، وابن ماجه، واللفظ له.

(٤) فتح الباري باب: الدعاء بعد الصلاة.

«اللهم اغفر لي وارحمني، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم أو إنك تواب غفور»[1]. عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: **«العبد آمن من عذاب الله عز وجل ما استغفر الله عز وجل»**[2]. عن حذيفة قال: كان في لساني ذرب على أهلي وكان ذلك لا يعدوهم إلى غيرهم فشكوت ذلك إلى النبي ﷺ قال: **«فأين أنت من الاستغفار يا حذيفة إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**[3].

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،** قال: **ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنَّة»**[4]. من الآيات والأحاديث السابقة يتبين لنا أهمية الاستغفار، وأنه يمحو الذنوب، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يوصون قادة الجيوش بالبعد عن الذنوب والمعاصي عملاً بقول رسول الله ﷺ لعائشة: **«يا عائش إياك ومحقرات**[5] **الذنوب فإن لها من الله طالبًا»**[6].

٦- التوكل على الله وإعداد القوة المادية:

إن النصر على الأعداء لا يتحقق بالأمنيات والدعوات والخطب الرنانة، وإنما يتحقق بالأخذ بالأسباب، والله سبحانه وتعالى قد خاطب المؤمنين قائلاً لهم: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾[الأنفال: ٦٠].

إذن فالإعداد لمواجهة أعداء الأمة وتحقيق النصر عليهم أمر مطلوب، وإن سبب التخاذل الذي نحن فيه اليوم يرجع إلى عدم الاستعداد لمواجهة أعدائنا، واكتفينا بالعبارات الجوفاء نشجب، ونستنكر وندين بشدة، فضحك الأعداء منا حتى الثمالة.

وإعداد الأمة للجهاد في سبيل الله يتطلب الآتي:

(١-٣) رواه أحمد.

(٤) رواه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٥) المحقرات: صغائر الذنوب.

(٦) رواه الدارمي وأحمد.

أولاً: إعداد القوات المسلحة :

إن القوات المسلحة هي الدرع الواقي للأمة الإسلامية ضد العدوان وهي التي تحافظ على سلامة تراب الأمة من أن يدنسه الأعداء، وهي التي تدافع عن مكتسباتها، وهي أداة الردع ضد أي عدوان، ولهذا يعتبر إعداد القوات المسلحة من أولى واجبات الأمة، ولهذا صح عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قال: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» واليهود الآن يعلمون أبناءهم منذ نعومة أظافرهم الرماية والسباحة،وبعد أن يشتد عود أحدهم يعلمونه قيادة الطائرات، وغيرها من المركبات الحربية، بينما نحن نعلم أبناءنا الغناء والموسيقى والميوعة، إلا من رحم ربي، وكنا نحن المعنيين بمقولة عمر، لا إخوان القردة والخنازير . فأمة الإسلام بحاجة ماسة للاحتفاظ بقواتها المسلحة وتدريبها باستمرار؛ لأنها تواجه كما أسلفنا أعداء يصعب حصرهم، وهنا يجب أن تكون نسبة تفوق قواتنا المسلحة ليس في الكم فقط، بل في النوع أيضًا . وإعداد القوات المسلحة يتطلب قيادة واعية؛ لأنه كلما زاد حجم القوات، وكلما تعددت أنواعها، وكلما زاد انتشارها، كلما تعقدت السيطرة عليها، وزادت أعباؤها، الأمر الذي يجب أخذه بعين الاعتبار عند تشكيل القوات المسلحة .

تدابير إعداد القوات المسلحة :

يعتبر التخطيط الاستراتيجي العمود الفقري لإعداد القوات المسلحة في الحرب، وتأمينها بكل ما تحتاج إليه ماديًّا وفنيًّا وبشريًّا، ويشتمل التخطيط الاستراتيجي لهذه القوات على العديد من الخطط العامة والخاصة وأهمها التالي :

- الفكرة والقرار الاستراتيجي لاستخدام القوات في الحرب .

- الخطط الاستراتيجية لاستخدام القوات البرية والجوية والبحرية وطبيعة الصراع المنتظر، وأنواع الأسلحة المستخدمة فيه . . . قوات إنزال، والدفاع الجوي، خطة التعبئة، وخطة الانتشار الاستراتيجي، وبناء المجتمعات الاستراتيجية والعملياتية في مسرح العمليات، خطة الاستطلاع الاستراتيجي قبل وأثناء وبعد العمليات الحربية، خطة التأمين

الشامل للقوات - خطة السيطرة - خطة الخداع والتمويه الاستراتيجيين، وعند التخطيط يجب مراعاة الواقعية والإمكانات والقدرات المتوفرة حاضرًا ومستقبلاً، وكذلك مراجعة هذه الخطط دوريًّا كما يجب تقدير حجم القوات المسلحة في زمن السلم والحرب، وبناء هذه القوات وإعداد نظام التعبئة . وهناك عدة متطلبات رئيسة لإعداد القوات المسلحة أهمها:

- تأمين الحجم المطلوب الوصول إليه .
- تأمين المنشآت اللازمة لاستيعاب هذا الحجم .
- إعداد المؤسسات الإدارية والفنية لإدامة هذه القوات .
- تأمين متطلبات التدريب .
- تأمين الميزانية اللازمة لتوفير المتطلبات المذكورة .

ثانيًا : إعداد الشعب :

إن الشعب المسلم يتشوق لليوم الذي يرى فيه راية الجهاد عالية خفاقة، وحين ذلك سيبذل الغالي والنفيس في سبيل نصرة دين الله والانتصار على أعداء الأمة، واسترداد الأرض الإسلامية المغتصبة، وعلى رأسها القدس الشريف؛ لذلك فإن إعداده لن يتطلب جهدًا ووقتًا، والإعداد يشتمل على : إعداد معنوي، إعداد عسكري .

إعداد الشعب معنويًّا :

والإعداد المعنوي يكون بغرس الروح الجهادية وتعميقها في الشعب المسلم، وحب الأمة الإسلامية ككلٍ، وإقناع الشعب بأهمية النصر على الأعداء فنحن نقاتلهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وهم يقاتلوننا للقضاء على الإسلام والمسلمين، نحن نقاتلهم لتأمين وصول الدعوة للناس كافة، وهم يقاتلوننا لنشر الجبت والطاغوت، نحن نقاتلهم لنصرة المستضعفين من النساء والرجال والولدان، وهم يقاتلوننا للقضاء على الأقوياء والضعفاء معًا، كما حدث في البوسنة وكوسوفا والشيشان وفلسطين

والفلبين وكشمير والعراق، نحن نقاتلهم لاسترداد أرضنا المغتصبة منهم، وهم يقاتلوننا لاحتلال المزيد من أراضينا، نحن نقاتلهم لنشر قيم الحق والعدل والمساواة، وهم يقاتلوننا لنشر البغي والظلم والعدوان، ويجب غرس ثقة الشعب في قواته المسلحة، ووقوفه وراءها، وكذلك غرس كراهية العدو في نفوس المواطنين والقوات المسلحة وهذا واجب العلماء والدعاة والمصلحين .

إعداد الشعب عسكريًا :

ويتم ذلك عن طريق تدريب بعض فئاته، وذلك لتزويد القوات المسلحة بالعناصر المدربة واللائقة عسكريًا عند الحاجة والمشاركة في الدفاع عن الأهداف الحيوية للأمة، ومما يبشر بالخير أن الشعب المسلم لديه وعي بكل هذه الأشياء ففي حرب رمضان أكتوبر عام ١٩٧٣م وقف الشعب بكل قوة خلف قواته المسلحة، فمنهم من بادر بالتبرع بالدم، ومنهم من عمل في المستشفيات بالمجان؛ لعلاج الجرحى والمصابين، وقدم الشعب أروع الملاحم في الوقوف صفًا واحدًا خلف قواته المسلحة .

ثالثًا : إعداد مسرح العمليات :

يعتبر مسرح العمليات من أكثر العوامل تأثيرًا على إعداد القوات المسلحة، وأسلوب تنفيذها لمهامها القتالية والهدف من تجهيز مسرح العمليات هو إتاحة الظروف المناسبة لسرعة انتشار القوات في الاتجاهات المختلفة، كما يهدف إلى إتاحة أنسب الظروف للاستخدام المؤثر لجميع أسلحة القتال والمعدات مع تحقيق إخفاء القوات وتمويهها وإعاقة أعمال العدو .

ويتضمن إعداد أراضي الأمة كمسرح للعمليات كل الأعمال التي تؤمن حشد القوات وتحريكها وانتشارها الاستراتيجي وتعزيز صمودها وتقليل آثار الضربات المعادية ضدها، وكذلك المساعدة على خدمة المجهود الحربي، وتأمين مطالب الشعب أثناء الجهاد .

رابعًا : إعداد أجهزة الأمة :

إن الجهاد في سبيل الله يتطلب من الجميع المشاركة في هذا الشرف الذي لا يدانيه

شـرف، لذلك ينبـغي إعداد أجـهزة الأمـة من إعـلام ومواصـلات واتصـالات وصحـة وتعليم. . . إلخ، فكل هذه الأجـهزة تلعب دوراً خطيراً لا تقل خـطورة عن الأسلحة في ساحة المعركة، فالإعلام في هذا المجـال المرئي والمقروء والمسموع يعمل على شقين: الشق الأول: إثارة روح الجهاد في نفوس الناس عن طريق الندوات واللقاءات، وبث كل ما هو مفيد، وتبصرة المسلمين بما للجهـاد من فوائد آجلة وعاجلة، وأنه ما عزت الأمة إلا عندما رفعت راية الجهاد، وما هانت ولا ذلت إلا بعد ما تركت تلك الفريضة الغالية .

ويمكن أيضًا بث المـسلسلات والأفلام التي تخلو من الاخـتلاط والتي تصـور التاريخ الإسلامي تصويراً صحيحًا، ونقل صـورة من صور جهاد المسلمين عبر تاريخهم الطويل، كما أن للصحافة دوراً كبيراً في هذا المجال، فعلى الصحفيين المسلمين توظيف أقلامهم في الذود عن الإسلام وأهله، والرد على الحـاقدين عليه، ومـقارعة الحجـة والدعوة إلى رفع الجـهاد في سـبـيل الله، ومما يبشـر بالخـير أن هناك بعض الأقـلام التي تزود عن حـمى الإسلام.

أما التلفاز والراديو فـيقع عبء كبير على القائمين عليهـما؛ وذلك لما يمثلانه من دور خطير في ثقافة المجتمع ونشر الوعي بين أفراده، ولكي يقوم كل جهاز من هذين الجهازين بدوره على أتم وجه، يجب تنقـية ما يبث فيهـما من الإباحية بمعناها الـشامل، من أفلام ماجنة، ومسلسلات تـافهة، وأغان هابطة، وبرامج لا فائدة منها، والتركـيز على ما ينفع الأمة في دينهـا ودنياها في حاضـرها ومستـقبلها، مع اسـتضافة علـماء الدين الربانيين؛ لتبـصير أفراد الأمـة بما هو واجب عليها تجاه الأمـانة التي كلفهم الله بالقيـام بها ألا وهي تبليغ دين الله تعالى للبشرية جمعـاء، ومما يبشر بالخير وجود قنوات تقوم بدور ريادي في هذا المجال من أمـثلة ذلك قناة اقرأ، وقناة المجـد، وقناة الفجر، وغـير ذلك من القنوات التي تهتم بنشر العلم الشرعي، وتبصير المسلمين بأمور دينهم فجزى الله القائمين على هذه القنوات خـير الجزاء، جـزاء ما قـدموا للإسلام والمسـلمين، ويمكن للأثرياء المسلمين من التبرع لإطلاق أقمار صناعية تخاطب الغرب بلغـته، وتبصير المسلمين المقيمين هناك بأمور دينهم .

وبالإضافة لاستضافة علماء دين يستضاف كذلك العلماء في شتى التخصصات التي تهم الأمة؛ لتوضيح الدور الذي يمكن أن يقوم به أي فرد من أفرادها في حالة رفع راية الجهاد، والاحتياطات الواجب اتخاذها في حالة التعرض لهجوم نووي أو كيميائي أو جرثومي . . . أما الشق الثاني: فيتمثل في بث روح الانهزامية عند الأعداء، وهو ما يسمى بالحرب النفسية، وفي نفس الوقت تعمل على رفع الروح المعنوية لدى أفراد الأمة.

فالغرب عامة واليهود خاصة قد وظفوا إعلامهم توظيفًا جيدًا في هذا المجال، فمن حين لآخر تسرب أجهزة إعلام اليهود أخبارًا عن ترسانتهم النووية والجرثومية والجينية، والتي توجه ضد ما هو عربي مسلم، وإبادته وقتله وتعمل على تضخيم ذلك حتى يدب الرعب في قلوب المسلمين فيتحقق لهم ما أرادوا، ولكن الفتية الذين آمنوا بربهم في فلسطين أعادوا للأمة بعض الكرامة، ولقنوا اليهود درسًا مفاده أن هذه الأمة حية لن تموت، وإن أصابها الوهن لفترة من الزمان فسيزول وسوف يفيق المارد من غفوته عندما يرجع لربه ويأتمر بأمره وينتهي عما نهى عنه فيقضي على الكفر وأهله .

أما إعلامنا المرئي والمسموع والمقروء فحدث ولا حرج من بث الأفلام والمسلسلات التي تهدم أكثر مما تبني، والغناء العاري من الملابس والأخلاق الفاضلة ومن كل القيم.

بالإضافة لذلك فهناك بعض البرامج والندوات التي تفرق أكثر مما تجمع، والتي تعمل على نشر روح النزعات القومية والحزبية، وهذا كله ما لا تريده الأمة من إعلامها ولكن هذا هو الواقع المرير .

أما دور الصحة فهو دور خطير في علاج الجرحى والمصابين، وتجهيز المستشفيات بكافة الأجهزة اللازمة لذلك مع تزويدها بالأطباء المهرة في علاج إصابات الحروب، فمما يحزن النفس أننا نرى أبناء الصليب يجوبون العالم شرقًا وغربًا لعلاج المصابين والمرضى من أبناء جلدتنا فيقدمون لهم الدواء باليمين، والصليب والإنجيل المحرف بالشمال، ويعملون على تنصيرهم، وقد نجحوا في بعض البلاد بصد بعض المسلمين عن دينهم، وذلك بسبب قصور أبناء الهلال القيام بهذه المهام، وهذا راجع لعدم دعم الحكومات لهم، وتوفير الإمكانات اللازمة للقيام بهذه المهام. وللتربية والتعليم دور مهم وحيوي في هذا

المجال، ويتمثل هذا الدور في تعليم حب الناشئة الجهاد للذود عن حياض الأمة، ومواجهة ما يدبره الأعداء لها من مكائد. كذلك تدريسهم قصص أبطال الإسلام المغاوير الذين حققوا انتصارات إسلامية شرقًا وغربًا، فدخل الناس في دين الله أفواجًا من أمثال خالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وصلاح الدين الأيوبي، وأسد بن الفرات، ومحمد الفاتح وغيرهم من الأبطال الأشاوس؛ للتأسي بهم في مواجهة الأمة لأعدائها .

والعمل على تنقية المناهج التي تعمل على التعصب للقومية والحزبية العمياء، وليكن هدف هذه المناهج إعداد أبناء الأمة إعدادًا روحيًّا وماديًّا، وللمواصلات دور مهم لا يقل عن سابقيه فالعاملين في المواصلات يقومون بتمهيد الطرق ورصفها، وعمل الخنادق، والمخابئ، والكباري البرمائية، والدشم المسلحة، ومنصات إطلاق الصواريخ، وملاجئ للطائرات، وإنشاء مراكز الاتصالات، وعمل بنية تحتية تساعد في تحرك القوات المسلحة وتنفيذ مهامها في أسرع وقت .

أما رجال التموين فمهمتم توفير احتياجات المجاهدين من طعام وشراب، وتأمين حاجة الشعب بالإضافة لعمل مخازن ضخمة لا تتأثر بالضربات العسكرية؛ لتكون مخزونًا يستخدم وقت الحاجة . وهكذا نجد أن كل فرد من أفراد الأمة يجاهد إن لم يكن في ساحة المعركة ففي الساحة الداخلية؛ لتأمين الأمة وقت الحرب .

خامسًا : إعداد اقتصاد الأمة :

نأتي بعد ذلك إلى النقطة الخامسة والأخيرة والمتعلقة بإعداد اقتصاد الأمة، فالملاحظ في الآونة الأخيرة أن الاقتصاد يلعب دورًا مهمًّا وخطيرًا في ساحات المعارك، فالدولة صاحبة الاقتصاد القوي تجوب العالم شرقًا وغربًا، وأقرب مثال على ذلك أمريكا الذي مكنها اقتصادها القوي من البغي والعدوان، وامتلاك كافة أنواع الأسلحة، بالإضافة لأساطيلها الحربية التي تجوب البحار والمحيطات .

والله سبحانه وتعالى حين ذكر الجهاد قدم ذكر المال على ذكر النفس قال سبحانه: ﴿**انفرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[التوبة:٤١]. والأمة الإسلامية قد حباها الله بخيرات قل أن تكون أمة في الأرض

أوتيت هذه الخيرات من اتساع الأراضي الزراعية، بالإضافة للثروات المعدنية التي لا تعد ولا تحصى، ومع ذلك كله نجد أن أفقر شعوب الأرض الشعوب الإسلامية، وذلك لأسباب منها: الفساد المستشري من سلب ونهب لخيراتها، واستثمار مليارات الدولارات في الغرب والشرق، وعدم استثمارها في البلدان الإسلامية، ولو استثمرت هذه المليارات في المشروعات الاقتصادية والتنموية في البلاد الإسلامية؛ لتغير الحال، ولكن الواقع شيء والأمنية شيء آخر، ومن أسباب اهتراء اقتصاد الأمة سوء استغلال الموارد المتاحة، وعدم التوزيع العادل للثروة بالإضافة لسوء استغلال الثروة في إنفاقها على أشياء لا فائدة منها، على سبيل المثال: تنفق الدول الإسلامية سنويًّا مليارات الدولارات في استيراد وتصنيع السجائر التي تفتك باقتصاد وشباب الأمة، فعلى الدول الإسلامية ممثلة بولاة أمورها أن يتنبهوا للمخاطر التي تواجه الأمة، ويتعاونوا فيما بينهم لبناء اقتصاد قوي تحميه قوة عسكرية تستطيع الحفاظ على مكتسبات الأمة، وتحرير جميع الأراضي المحتلة من أيدي الكفار، ونصرة المستضعفين وفك الأسرى عند ذلك ينطلق الدعاة إلى الله لتبليغ دين الله للقاصي والداني، وهم في مأمن على أنفسهم من بطش الجبارين وتضييق المفسدين وسجن الظالمين.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله سبحانه: **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[آل عمران: ١٠٤].

وقال مادحًا المؤمنين والمؤمنات: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[التوبة: ٧١]. وقال في ذم بني إسرائيل لعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[المائدة: ٧٨، ٧٩] والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث الشريفة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(٢).

عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده قال: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألاَّ ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» (٣).

ولننظر إلى هذا التشبيه الجميل:

عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»(٤).

عن أم سلمة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا**» (٥). ومعنى قوله ﷺ: «**فتعرفون وتنكرون**» أي: تعرفون بعض أفعالهم لموافقتها للشريعة، وتنكرون بعضها لمخالفتها لها، فمن كره بقلبه ولم يستطع إنكارها بيد ولا لسان فقد برئ من الإثم، وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي.

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٩).

(٢) رواه مسلم برقم (٥٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم برقم (٢١٢١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حقه؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[(١)].

عن زينب بنت جحش، أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** -وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها-» قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم. إذا كثر الخبث**»[(٢)]. والمعنى أن الفسوق والفجور إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كثر الصالحون ففيه بيان شؤم المعصية والتحريض على إنكارها.

وقد حذر الله سبحانه وتعالى الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويخالف قولهم أفعالهم، قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة: ٤٤].

وقال جلت حكمته: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف: ٢، ٣]، وقال عز وجل إخبارًا عن شعيب عليه السلام: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾[هود: ٨٨]. عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[(٣)].

من فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أنه من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل: ٣٦]. أنه من صفات المؤمنين وخصال الصالحين قال عز وجل: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ**

(١) رواه مسلم برقم (٢١٢١).
(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٤٦).
(٣) رواه مسلم برقم (٢٩٨٩)، واللفظ له، والبخاري برقم (٣٢٦٧).

الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١١٢].

من خيرية هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠]. من أسباب النصر والتمكين في الأرض: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠، ٤١]، وعظم فضل القيام به ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤].

- أنه من أسباب تكفير الذنوب كما قال ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه، وولده، وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[١].

- في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للضروريات الخمس الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

ويترتب على تركه أمور عظيمة منها:

١- وقوع الهلاك والعذاب وعدم إجابة الدعاء؛ قال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال: ٢٥]. عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»[٢].

٢- انتفاء خيرية الأمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الترمذي.

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[المائدة:٧٨]. **إلى قوله : ﴿فاسقون﴾** ثم قال: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن عل يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم**»[1].

٣- تسلط الفساق والفجار والكفار على الأمة وتزيين المعاصي وشيوع المنكر واستمراؤه .

٤- ظهور الجهل واندثار العلم وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها .

٨- الالتفاف حول العلماء :

الالتفاف حول علماء الأمة الراسخين في العلم، المعروفين بصلاح المعتقد، وسلامة المنهج، فالقرب من أولئك والاستئناس بآرائهم والصدور عن رأيهم فيه مصلحة عظيمة للأمة وشبابها. فعلماء السنة أدرى الناس بمعالجة قضايا الأمة، وهم أبصر الناس بمجاراة واقعها، وإيجاد الحلول الناجحة لها، فأولئك الثلة من العلماء لا تصدر آراؤهم إلا بعد النظر في النصوص الشرعية، فثوابهم مضاعف مأجور وخطؤهم غير مأزور بل مأجور، قال ﷺ : «**إذا اجتهد الحاكم فحكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فحكم فأخطأ فله أجر واحد**».

٩- التفاؤل والاستبشار بأن النصر للإسلام :

التفاؤل والقطع بأن النصر للإسلام وأهله، كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة التي تدل دلالة واضحة على ذلك، من ذلك قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة:٣٣]، وقد ذكر بعض المفسرين عند هذه الآية عدداً من الأحاديث النبوية المبشرة بظهور الإسلام وعزته، فمن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن كنتُ لأظن حين أنزل الله **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ**

---

(١) رواه أبو داود .

كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. أن ذلك تام، فقال ﷺ : «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله...**»(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...**» (٢).

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاًّ يذل به الكفر**» . أخرجه الإمام أحمد وغيره عن تميم الداري رضي الله عنه، ثم قال تميم رضي الله عنه بعد أن ساق الحديث: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من كان كافرًا منهم الذل والصغار والجزية»(٣) .

١٠- الإلحاح على الله تعالى بالدعاء :

إن من آداب الجهاد في سبيل الله اللجوء إلى الله بالدعاء والاستغاثة به، وطلب نصره على الأعداء، وهذه سنة مضى عليها أولياء الله من الأنبياء والرُسل وأتباعهم، كما فعل نوح عليه السلام عندما شعر بقوة قومه المادية : ﴿ **فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ**﴾[القمر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وقال عن جنود طالوت: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١]، وهكذا كان النبي ﷺ يكثر من دعاء الله والاستغاثة به، وبه اقتدى أصحابه كما قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[الأنفال: ٩]. وعن طارق بن شهاب قال: «سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إليَّ مما عدل

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٠٧). (٢) رواه مسلم برقم (٢٨٨٩). (٣) رواه أحمد وغيره .

به، أتى النبي ﷺ، وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: فاذهب أنت وربك، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرّه - يعني: قوله-»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وعدّتهم، ونظر إلى أصحابه نيّفًا على ثلاثمائة، فاستقبل القبلة، فجعل يدعو، ويقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، وأخذه أبو بكر الصديق ﷺ فوضعه رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: كفاك يا نبي الله بأبي وأمي مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك» فأنزل الله: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[الأنفال:٩][٢] وهو في صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣)، مع الاختلاف في بعض ألفاظه، وقد دل حديث أنس الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي على مداومة الرسول ﷺ على الدعاء إذا غزا، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول ولك أصول، وبك أقاتل**» -هذه رواية أبي داود- وفي رواية الترمذي: «**أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل**»[٣].

١١- توحيد الصفوف:

قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[الصف:٤]، ويقول النبي الكريم ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**»[٤]. فينبغي أن يكون بين المجاهدين المقاتلين تلاحم تام، وتعاون وثيق؛ لتحقيق الأهداف التي يقاتلون من أجلها[٥]، والمتأمل في كلمة ﴿**صَفًّا**﴾ وتشبيه المقاتلين بالبنيان المتماسك الذي يقوي بعضه بعضًا يفهم أن المبادئ والأصول التي تحقق التعاون يجب العمل بها وهي كما نرى:

- وحدة الهدف ووحدة الصف.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لابن جرير الطبري (٩/ ١٨٩).
(٣) «جامع الأصول».
(٤) رواه مسلم، باب: تراحم المؤمنين، وتعاطفهم وتعاضدهم.
(٥) «المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية» اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

- قوة العقيدة وهي كالأساس للبناء .

- التخطيط العلمي الذي لا يستقيم صف ولا يقوم بناء بدونه .

- التنسيق والتماسك بين المقاتل وزملائه كل منهم يؤدي دوره متعاونًا مع زميله وسندًا ودرعًا لقوته .

- إنكار الذات والعمل بروح الفريق أو الجماعة. مما سبق يتبين لنا أن من أسباب النصر وحدة صف الأمة، أما إذا كانت مفرقة ومشتتة، فإن النصر لن يكون حليفها، ولذلك صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - لما أراد أن يستخلص بيت المقدس من أيدي الصليبيين أول ما فعله أن قام بتوحيد أقوى بلدان المسلمين في ذلك الوقت، وهي: مصر والشام، فلما وحدها نهض لقتال الصليبيين. فوحدة الصف المسلم سبب من أسباب النصر والتمكين، وأما إذا كان المسلمون مفرقين فإن النصر منهم بعيد .

١٢- عدم التهويل من شأن العدو :

إلى حد إدخال الرعب في قلوب ضعاف الإيمان واليقين، وذلك بذكر عدد العدو، وعدته، وعتاده بصورة تظهره بمظهر الغالب الذي لا يُغلب، فهذا مما يعين على فقدان الشعور، بل مجرد التفكير بالنصر .

ولا شك ولا ريب أن هذا من الخطورة بمكان، إذ إن الهزيمة النفسية أعظم من الهزيمة الحسية، فالهزيمة الحسية مؤقتة بوقت تزول بزواله، أما المعنوية فتبقى ملازمة أصحابها أمدًا طويلاً .

وبكل حال: فالحذر الحذر من التضخيم والمبالغة في إظهار العدو، بل الأولى بالمسلم أن يكون سببًا في شحذ الهمم والعزائم، وحث النفوس على حسن الظن بالله تعالى، وكذلك على فعل ما يستطاع من الأسباب والوسائل التي تكون عونًا بعد الله تعالى في هزيمة العدو وكسر شوكته ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[الأنفال: ٦٠].

١٣- الصبر والمصابرة :

لا بد من الصبر في الأمور كلها ولا سيما الصبر على قتال أعداء الله ورسوله،

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله ورسوله ﷺ، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. قال الله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: ٢٠٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[الأنفال: ٤٦]. وجاء في الخبر: «**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**».

وقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

١٤- الثبات عند لقاء العدو:

من عوامل النصر الثبات عند اللقاء، وعدم الانهزام والفرار فقد ثبت النبي ﷺ في جميع معاركه التي خاضها، كما فعل في بدر، وأحد وحنين، وكان يقول في حنين حينما ثبت وتراجع بعض المسلمين: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك**»[1]، وهو ﷺ قدوتنا وأسوتنا الحسنة قال الله عز وجل: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[الأحزاب: ٢١]، وثبت أصحابه من بعده ﷺ.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، وفإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»[2].

١٥- أداء جميع الفرائض وإتباعها بالنوافل:

وذلك لأن محبة الله لعبده تحصل بذلك، فإذا أحبه نصره، ووفقه، وسدده وأعانه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته**

(١) متفق عليه: البخاري «كتاب الجهاد والسير» برقم (٢٨٦٤)، مسلم كتاب «الجهاد والسير».

(٢) متفق عليه: البخاري برقم (٢٨١٨)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته»[(١)].

١٦- استشعار المسؤولية :

من كل فرد من أفراد المجتمع، وذلك أن يشعر كل واحد من المسلمين مهما كان موقعه وشأنه أنه مسؤول ومساءل فيبدأ بإصلاح نفسه وبيته، ثم تتسع دائرة الإصلاح حتى تشمل جلساءه وجيرانه ومجتمعه، وليعلم كل واحد منا أنه على ثغر من ثغور الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله .

فعلى الكاتب منا أن يسخر قلمه لخدمة الإسلام ونصرته، وعلى التاجر أن يراعي أولاً حق الله من زكاة ونفقة، ثم عليه أن يجعل من ماله نصيبًا في دعم الإسلام والمسلمين، وليعلم أنه مهما بالغ في الإنفاق فإن ذلك خير وأنفع سبيلاً ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾[المزمل: ٢٠].

وقال ﷺ : «**ما نقصت صدقة من مال....**» [(٢)].

شاهد المقال: أن على كل واح أن يستشعر أنه على ثغر من ثغور الإسلام، فيؤدي ما يقدر عليه من دعم الإسلام والمسلمين مهما كان حجم ذلك الدعم، ولو كان يسيرًا في نظره أو نظر الآخرين، فربما يكون ذلك اليسير عظيمًا حينًا من الدهر، قال ﷺ : «**لا تحتقرن من المعروف شيئًا...**».

١٧- الحذر من اليأس والقنوط :

وقتل الهمم والعزائم؛ لكثرة ما يرى ويسمع من مصاب الإسلام في أي مكان أو زمان، فعلى المسلم أن يغلق عن نفسه باب اليأس والقنوط بأحكم الأقفال وأوثقها، وأن يحسن الظن بالله تعالى، وأن يستشعر معاني الآيات المحذرة والمرهبة من اليأس، كقوله تعالى: ﴿**لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾[الزمر:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ**

---

(١) رواه البخاري «كتاب الرقاق» باب: التواضع برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

إلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وعلى المسلم أيضًا في الوقت نفسه أن يتذكر النصوص المبشرة والدالة على حصول اليسر بعد العسر، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠] إلى غير ذلك من النصوص والأخبار التي تذكي العزائم، وتشحذ الهمم.

****

الباب الخامس

طريق وصفحات

الفصل الأول

صفحات مشرقة من تاريخنا الإسلامي

إن التاريخ الإسلامي مليء بتلك الصفحات المشرقة والتي سطرها أبطاله الشجعان بمداد من نور، وذلك بعد أن بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل هذا الدين لإعلاء كلمته ورفع شأنه . وسوف أقلب بعض هذه الصفحات لنستلهم منها العظة والعبرة، ولتكون لنا زادًا لا ينفد ومعينًا لا ينضب، وليعرف هذا الجيل وهو يعيش هذه الأيام الحالكة، والتي تمر بها أمته من تسلط أحقر أمم الأرض عليها، واستبداد بعض أبنائها واحتلال مقدساتها، وتشريد أهلها والكثير من المصائب والمحن التي تدمي القلب وتقرح العين وتفتت الكبد ليعرف أن أجدادهم كانوا عظماء فيتشبهوا بهم، ويعملوا بعملهم حتى يتحقق لنا موعود الله بالنصر وننشر رسالة الإسلام في كافة المعمورة؛ ليعم البشرية الأمن والسلام وننتشل العالم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن وحل الشهوات إلى العفة والطهارة .

ومن العجيب أن أمم الكفر تحاول جر أمتنا إلى وحل الشهوات والشبهات، بما يبثونه من إباحية سمموا بها أجواءنا، وإن نحن انحرفنا مثلما انحرفوا فسوف يسهل عليهم القضاء علينا، وذلك لما يملكونه من قوى مادية ليست لدينا .

فينبغي على أمة الإسلام التمسك بالنبعين الصافيين القرآن الكريم، وسنة رسولنا الكريم؛ فهما مصدر قوتنا وعزتنا وكرامتنا والتفريط فيهما يعني الوقوع في الهاوية .

ونبدأ هذه الصفحات المشرقة والتي سطرها الأبطال الأشاوس بدمائهم وأرواحهم دفاعًا عن الدين والعرض والأرض، فأصبحت أسماؤهم محفورة في أذهان المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومع أولى هذه الصفحات :-

معركة اليرموك ١٥هـ - ٦٣٦ م :

كانت وقعة اليرموك في ١٥ هـ ٦٣٦م، لقد أبلى المسلمون في هذه الموقعة الحاسمة التي دارت رحاها بينهم وبين الروم بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، حيث

استطاعوا أن يحرزوا نصر مؤزراً على الروم في يوم الوقواصة حيث هوى من جند الروم مائة وعشرون ألفًا، ويمكن إرجاع نصر المسلمين في هذه الموقعة على قلتهم؛ لأسباب هي: الإيمان بالله الذي غرسه فيهم الإسلام، ثم بفضل وحدتهم ووقوفهم خلف قائد واحد، وبفضل القيادة الجيدة، والمعنويات العالية، وقوة احتمالهم وجلدهم، نتيجة لحياتهم الصعبة في الصحراء، والتي تعودوا عليها بهذا استطاع المسلمون هزيمة أعظم أمة في ذلك الوقت مع العلم أن جيش الروم كان يعادل ثمانية أضعاف جيش المسلمين .

صورة من معركة اليرموك:

في ذلك اليوم العظيم من تاريخ الإسلام راع عكرمة بن أبي جهل ﷺ انسحاب الجناح الأيمن من الجيش الإسلامي وهو يواجه الروم، فصاح بأصحابه من يبايع على الموت فبايعه ضرار بن الأزور والحارث بن هشام مع أربعمائة من وجوه المسلمين بينهم ابنه عمر ابن عكرمة، واندفع هؤلاء لنجدة الميمنة فاستبسلوا حتى أوقفوا الهجوم الرومي، وأجبروهم على الانسحاب، وقد استشهد عكرمة ﷺ وابنه عمرو في هذه المعركة[1].

معركة القادسية ١٤ هـ - ٦٣٧ م:

كانت هذه المعركة الخالدة سنة ١٤هـ - ٦٣٧ م بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ والتي كانت بين المسلمين والفرس، لقد انتصر المسلمون في هذه المعركة الخالدة بفضل إيمانهم القوي بالله تعالى، ثم بفضل الروح المعنوية التي غرسها الإسلام في نفوسهم . فكانوا يحاربون عن عقيدة وإيمان بقضية عادلة عكس الفرس الذين لا هدف لهم أو عقيدة يحاربون من أجلها، كما تجلت روعة القيادة الإسلامية التي تمثلت بالقائد العام سعد ابن أبي وقاص ﷺ، وقادته الآخرين من أمثال هاشم بن عتبة وزهرة بن الحوية، والقعقاع، وعاصم فبرزت هذه بصورة واضحة بانتخاب سعد لأرض المعركة وإجبار رستم على قبول المعركة فيها، ولا شك أن التفوق بالقيادة والمعنويات كان ولا يزال من العوامل التي تتوقف عليها نتيجة الحرب . ولقد أثبت التاريخ العربي في صدر الإسلام أن العرب ربحوا معاركهم بفضل تفوقهم في هذين العاملين بالرغم من تفوق أعدائهم عليهم بالعدد والعدة.

---

(١) «معارك العرب الحاسمة» صبحي عبد الحميد ص(٧٢).

صورة من معركة القادسية :

أخذ القعقاع يشجع الجنود ويحرضهم على مواصلة القتال قائلاً: إن النصر أصبح قريبًا، وإن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة، واحملوا فإن النصر مع الصبر فحمل المسلمون، واشتد القتال حتى جاء الظهر عند ذاك بدأت صفوف الفرس تضطرب خاصة بالأجنحة حيث تراجع الهرمزان وبقي القلب صامدًا وحده، واستطاع هلال ابن علقمة قتل رستم وصعد على سريره، وهو يصيح: قتلت رستم ورب الكعبة، إليّ إليّ فتجمع الجند حوله وهم يكبرون ولما علم الفرس بمقتل قائدهم، وهنت قوتهم، وخارت عزيمتهم وتحطمت معنوياتهم. لقد انتهت المعركة بنصر حاسم وفتح الطريق أمام المسلمين إلى إيوان كسرى .

معركة نهاوند ١٩هـ ٦٤٠ م:

كانت هذه المعركة بقيادة النعمان بن مقرن ﷺ فقد كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر على بركة الله، وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين. . . .»[1].

في هذه المعركة أبلى المسلمون بلاء حسنًا حتى حققوا النصر المؤزر على الفرس وفتحوا إيران، وقد سميت هذه المعركة بفتح الفتوح لأن المسلمين استطاعوا القضاء نهائيًّا على الفرس،ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

صورة من معركة نهاوند :

اشتد القتال بين المسلمين والفرس والنعمان بن مقرن ﷺ ممتطيًا جواده يحث المسلمين على القتال، وقد حمل راية الجيش فزلق حصانه وسقط منه فرماه أحد الفرس بسهم في خاصرته فاستشهد فتقدم منه أخوه نعيم فسجاه وكتم أمر استشهاده عن الجيش؛ خوفًا من أن تضعف معنوياتهم، وهم في أوج حماسهم للمعركة وأخذ الراية، وناولها حذيفة ابن اليمان ﷺ[2]، وكان الخليفة قد عينه يخلف النعمان إن حدث له حدث في أثناء القتال.

(١، ٢) الطبري (٤/ ١١٥).

استمر القتال حتى أقبل الليل، وحمي وطيس المعركة، والمسلمون يدفعون العدو أمامهم حتى انتشر الظلام فأصاب الفرس الفزع، فقرروا العودة إلى حصونهم، إلا أنهم اصطدموا بحسك الحديد الذي تركوه خلفهم، وكان الفرسان المغاوير من المسلمين لا يمهلونهم لرفع الحسك، وأرادوا الانحراف إلى الجانب فتلقفهم خندق عميق أعماهم ظلام الليل من رؤيته فهووا فيه بخيولهم، فقتل عدد كبير منهم، ولما رأى الفيروزان ما حل بجيشه اندفع وحيداً نحو طريق همذان يريد النجاة بنفسه، فتبعه القعقاع بن عمرو حتى أدركه عند ثنية همذان حيث سدت عليه الطريق قافلة من الحمير، والبغال تحمل العسل، فم استطاع الإفلات فلحقه القعقاع وقضى عليه، وقال المسلمون بعدها: إن لله جنوداً من عسل، وسميت ثنية همذان منذ ذلك الحين بثنية العسل[1]، إن أهم ما يسترعي النظر في معارك فارس هو نجاح العرب في القتال بأرض جبلية لم يألفوها سابقًا، ولم يشاهدوا نظيرها في بلادهم ولم يتعودوا على مشاقها، وهذا دليل على أن الجيش الذي يقاتل في سبيل عقيدة ومثل سامية لا بد أن ينال النصر مهما كانت الصعاب التي تعترض طريقه؛ لأن العقيدة ترفع المعنويات، وتقوي العزائم فتدفع الجندي إلى التضحية بحياته عن طيب خاطر لتحقيق النصر. والمعركة ببطولاتها الفذة وتضحياتها الكبيرة، وقيادتها المؤمنة المدركة لجديرة بالدراسة في عصرنا هذا من قبل شبابنا المتوثب إلى المجد حتى يستمد من ماضيه قوة لبناء مستقبله[2].

معركة عين جالوت ٦٥٨هـ ١٢٦٠م:

لم تتعرض دولة الإسلام لأوقات عصيبة وعواصف منذرة ورياح مرعبة مثلما تعرضت في القرن السابع الهجري؛ حيث دمّرت جيوش المغول بقيادة جنكيز خان حواضر الإسلام الكبرى في المشرق الإسلامي، وسفكت دماء المسلمين، وأتت على معالم الحضارة والمدنية، ولم تستطع قوة إسلامية أن توقف هذا الزحف الكاسح، وانهارت الجيوش الإسلامية وتوالت هزائمها، وتتابع سقوط الدول والمدن الإسلامية كأوراق الشجر في موسم الخريف .

---

(١) الطبري (٤/ ١٣٣) .

(٢) «معارك العرب الحاسمة» صبحي عبد الحميد ص (٨٦).

وأطمع ضعف المسلمين وخور عزائمهم المغول في أن يتطلعوا إلى مواصلة الزحف تجاه الغرب، وإسقاط الخلافة العباسية وتقويض **دعائمها**، ولم تكن الخلافة في وقت من الأوقات أضعف مما كانت عليه وقت الغزو **المغولي**؛ فخرج هولاكو سنة (٦٥١هـ - ١٢٥٣م) على رأس حملة جرارة، تضم مائة **وعشرين ألف** جندي من خيرة جنود المغول، المدربين تدريبًا عاليًا على فنون القتال والنزال، **والمزودين بأسلحة** الحرب وأدوات الحصار، تسبقهم شهرتهم المرعبة في القتل وسفك **الدماء، ومهارتهم** الفائقة في الحرب، وشجاعتهم وقوة بأسهم في ميادين القتال.

الخروج إلى القتال:

وفي رمضان ٦٥٨هـ أغسطس ١٢٦٠م) خرج قطز من مصر على رأس الجيوش المصرية، ومن انضم إليه من الجنود الشاميين وغيرهم، وكان الجيش المغولي يقوده كيتوبوقا (كتبغا) بعد أن غادر هولاكو الشام إلى بلاده للاشتراك في اختيار خاقان جديد للمغول، وجمع القائد الجديد قواته التي كانت قد تفرقت ببلاد الشام في جيش موحد، وعسكر بهم في عين جالوت .

اللقاء المرتقب:

اقتضت خطة السلطان قطز أن يخفي قواته الرئيسية في التلال والأحراش القريبة من عين جالوت، وألا يظهر للعدو المتربص سوى المقدمة التي كان يقودها الأمير بيبرس، وما كاد يشرق صباح يوم الجمعة (٢٥ من رمضان ٦٥٨ هـ - ٣ من سبتمبر ١٢٦٠م)، حتى اشتبك الفريقان، وانقضت قوات المغول كالموج الهائل على طلائع الجيوش المصرية؛ حتى تحقق نصرًا خاطفًا، وتمكنت بالفعل من تشتيت ميسرة الجيش، غير أن السلطان قطز ثبت كالجبال، وصرخ بأعلى صوته : «واإسلاماه!»، فعمت صرخته أرجاء المكان، وتوافدت حوله قواته، وانقضوا على الجيش المغولي الذي فوجئ بهذا الثبات والصبر في القتال، وهو الذي اعتاد على النصر الخاطف، فانهارت عزائمه وارتد مذعورًا لا يكاد يصدق ما يجري في ميدان القتال، وفروا هاربين إلى التلال المجاورة بعد أن رأوا قائدهم كيتوبوقا (كتبغا) يسقط صريعًا في أرض المعركة .

ولم يكتفِ المسلمـون بهذا النصر، بل تتـبعـوا الفلول الهاربة من جيـش المغول التي تجمعت في بيسان القريبة من عين جالوت، واشتبكوا معها في لقاء حاسم، واشتدت وطأة القتال، وتأرجح النصر، وعاد السلطان قطز يصيح صيحة عظيمة سمعها معظم جيشه وهو يقول: «واإسـلاماه!» ثلاث مرات، ويضـرع إلى الله قائلاً: «. . . يا الله!! انصر عـبدك قطز». . . وما هي إلا سـاعة حتى مـالت كفة النصـر إلى المسلمين، وانتهى الأمـر بهزيمة مدوية للمغـول لأول مرة منذ جنكيز خان. . . ثم نزل السلطان عن جواده، ومـرغ وجهه على أرض المعركة وقبلها، وصلى ركعتين شكرًا لله .

نتائج المعركة :

كانت معركة عين جالوت واحدة من أكثـر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوربي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوربا وقتئذ أن يدفعه .

وكان هذا النصر إيذانًا بخلاص الشام من أيدي المغول؛ إذ أسرع ولاة المغول في الشام بالهرب، فـدخل قطز دمشق على رأس جيـوشه الظافرة في (٢٧ من رمـضان ٦٥٨ هـ)، وبدأ في إعادة الأمن إلى نصابه في جـميع المدن الشامية، وترتيب أحـوالها، وتعيين ولاة لهـا، وأثبتت هذه المعـركـة أن الأمن المصري يبـدأ من بلاد الشـام عامـة، وفي فلسطين خاصة، وهو أمر أثبتته التجارب التـاريخية التي مرت على المنطقة طوال تاريخها، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركـة هي توحيد مصر وبلاد الشام تحت حكم سلطان المماليك على مدى ما يزيد عن نحو مائتين وسبعين سنة [1] .

****

(١) أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٦٩ م.

الفصل الثاني

الطريق إلى القدس

إن القلب لينفطر ألمًا ويعتصره الحزن كمدًا، وهو يرى مسرى النبي ﷺ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يئن تحت نيران **الاحتلال الصهيوني** .

قال الشاعر:

يا أمة الإسلام فانتفضي فإن الجرح غائر

والجميع مذ ترك العقيدة مضطرب وحائر

وجريحنا الأقصى هوى وديس بالحوافر

فهناك تعيث في جوانبه عصب الكوافر

وتسومهم ذلاً وخسفًا كالبهائم في الحظائر

فالمجرمون الصهاينة قد أشعلوا فيه النيران وأحرقوه عام ١٩٦٥م، واستطاع المسلمون بعد جهد جهيد إعماره مرة أخرى، وحفر شذاذ الآفاق تحته الأنفاق بحجة البحث عن هيكل سليمان المزعوم، وهم بذلك يريدون هدمه لإقامة الهيكل مكانه، كما تأمرهم بذلك توراتهم المحرفة، والخوف كل الخوف أن يستيقظ المسلمون ذات صباح على هدم المسجد الأقصى، وذلك قد يتحقق لليهود ما دام المسلمون في غفلة عما يحاك للمسجد ولهم من مؤامرات، فولاة الأمور يهرولون وراء سراب كاذب اسمه السلام، ونسوا أن هؤلاء القوم لا تجدي معهم إلا لغة واحدة، هي لغة السلاح؛ لأنهم قوم سوء فقد افتروا على الله الكذب، وقالوا: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[المائدة: ٦٤]. و قالوا: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ**

الْحَرِيق ﴾[آل عمران: ١٨١]. وكذبوا الأنبياء وقتلوهم، قال تباركت أسماؤه: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[البقرة: ٨٧].

وهذه بعض الصفات التي وصف بها القرآن الكريم اليهود وحتى نحذرهم :

١- الجبن :

فقد وصف القرآن الكريم اليهود بالجبن، والجبان من صفته الغدر والخيانة؛ ليعوض بذلك ما ينقصه من شجاعة، فقد وصفهم القرآن بالجبن والاعتداء على أنبياء الله بقوله تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[آل عمران: ١١٢].

٢- الغدر والإجرام :

إن أعمالهم الدنيئة شاهدة على ذلك في أكثر المذابح التي ارتكبوها ضد المسلمين في دير ياسين، ومدرسة بحر البقر، وبيت دارس، وقتل الأسرى المصريين ومذبحة قانه، وصابرا وشاتيلا في لبنان، ومذبحة جنين في فلسطين، وكل يوم يرتكبون المجازر ضد الأبرياء في فلسطين فأيديهم الدنسة ملطخة بدماء المسلمين، قال تعالى واصفًا إياهم : ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾[المائدة: ٧٠].

والقرآن يصمهم بالإجرام حيث إنهم قتلوا رسل الله، والذين يأمرون بالعدل من الناس، قال سبحانه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[آل عمران: ٢١]. كما أن القرآن يصمهم بالغدر قال جل وعلا: ﴿ **أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[البقرة: ١٠٠].

٣- الإفساد في الأرض :

قال تعالى: ﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[المائدة: ٦٢، ٦٣].

٤- إشعال الحروب وبث التفرقة :

قال تباركت أسماؤه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[المائدة: ٦٤].

ولقد هجاهم القرآن لـ :

(١) سوء أفعالهم: قال سبحانه وتعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[المائدة: ٧٨-٨٠].

(٢) نقضهم عهد الله : قال جلت حكمته : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة: ١٢، ١٣].

(٣) إعراضهم عن شريعة الله : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[المائدة: ٦٠].

(٤) كتمانهم تعاليم الله : قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران: ٧٧].

(٥) لا ينتفعون بهدي الله: وما أجمل هذا التشبيه الذي شبههم الله به قال تباركت أسماؤه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة: ٥].

(٦) قساة القلوب: قال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ٧٤]. فهل يجوز بعد كل ذلك لذي عقل ودين أن يوالي إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت؟!! وما أحرانا أن نحقق قول الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٧١][1].

إذن فما السبيل لتحرير المسجد الأقصى من يد اليهود الملاعين؟ بلا ريب أن الطريق إلى تحريره لن يكون مفروشًا بالورود، بل بالأشلاء والدماء وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحقيق تلك الغاية النبيلة، ولن يتم تحريره إلا على أيدي عباد الله المخلصين لا على أيدي المهرولين وراء السراب الخادع والأمل الكاذب.

إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ④ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ⑤ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ⑥ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٤-٧]. إن المتأمل بعين البصيرة لهذه الآيات الكريمة يجد أن الذين سيحررون بيت المقدس هم عباد الله المؤمنين، فما يا ترى صفات هؤلاء العباد الذين سيتم على أيديهم استنقاذ القدس من أيدي اليهود؟.

---

(١) «اليهود في القرآن الكريم» عفيف عبد الفتاح طبارة ص (٧٥).

إن الإجابة عن هذا السؤال نجدها في سورة الفرقان فقد وصفهم الله عز وجل بإحدى عشرة صفة :

الصفة الأولى: التواضع :

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[الفرقان :٦٣]. فالمؤمن الحق يمشي بسكينة ووقار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»[١] .

قال صاحب الظلال: ها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن يشمون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ولا تصنع وليس فيها خيلاء ولا تصعير خد .

ويقول ابن كثير: إنهم يمشون من غير استكبار ولا أشر ولا بطر وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياءً وهذا رسول الله ﷺ كان إذا مشى تكفأ تكفُّؤًا، وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : «ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث»[٢] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفّؤا كأنه ينحط من صبب»[٣]. فهذه الصفة الأولى، التواضع والطاعة لله ويكون ذلك بالعلم بالله والخوف منه، والمعرفة بأحكامه والخشية من عذابه وعقابه.

الصفة الثانية : الحلم والكلام الطيب :

قال جلت قدرته: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[الفرقان:٦٣]. يقول صاحب الظلال: وهم في جدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة لا يلتفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك ولا يكون ذلك عن ضعف، ولكن عن ترفع ولا

---

(١) رواه الشيخان، مسلم برقم (٦٠٢)، والبخاري برقم (٩٠٨).

(٢) رواه الترمذي . (٣) رواه الترمذي وابن حبان .

عن عجز إنما عن استعلاء، وعن صيانة للوقت والجهد، أن ينفق فيما لا يليق بالرجل الكريم، فالمؤمن الحق إذا سفه عليه الجاهل بالقول السيئ لا يقابله بمثله، بل يعفو ويصفح ولا يقول إلا خيراً كما كان رسول الله ﷺ يفعل[١]: «**لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلمًا**» وكما قال عز وجل: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾[القصص: ٥٥].

وروى الإمام أحمد عن النعمان بن مقرن المزني قال: «سب رجل رجلاً عند رسول الله ﷺ فجعل المسبوب يقول: عليك السلام، فقال رسول الله ﷺ: « **أما إن ملكًا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قلت وعليك السلام، قال: بل أنت وأنت أحق به**»[٢].

الصفة الثالثة : التهجد ليلاً:

قال تباركت أسماؤه : ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٤]. يقول صاحب الظلال: فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا يتوجهون لربهم وحده، ويقومون له وحده ويسجدون له وحده، هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ، بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ينام الناس، وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام. فالتهجد عبادة خالصة في جوف الليل؛ لأنها أكثر خشوعًا وأضبط معنى، وأبعد عن الرياء .

الصفة الرابعة : الخوف من عذاب الله تعالى:

قال جل شأنه: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾[الفرقان: ٦٥-٦٦]. فالمؤمنون لم يروا جهنم، ولكنهم آمنوا بوجودها، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسولهم الأمين . فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق، وثمرة التصديق، قال الحسن: كل شيء

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب (١٨/ ٥٦).

(٢) رواه أحمد، وقال: حديث حسن .

يصيب ابن آدم ويزول عنه فليس بغرام : «وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض» فالمؤمنون مع طاعتهم لله مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله سواء في سجودهم وقيامهم؛ لأن عذاب جهنم غير مفارق .

الصفة الخامسة : الاعتدال في الإنفاق دون إسراف ولا تقتير :

قال جلت حكمته: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾[الفرقان:٦٧] يقول صاحب الظلال: والمسلم مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ليس حرًّا في إنفاق أمواله الخاصة، كما يشاء كما هو الحال في النظام الرأسمالي، وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان، إنما هو مقيد بالتوسط في الأمر بين الإسراف والتقتير، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به، وانتفاع الجماعة من حوله[١].

فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية، وهو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ من نفس الفرد فيجعل الاعتدال شيئًا من سمات الإيمان: ﴿ **وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾[الفرقان:٦٧]. أما النفقة في معصية الله فهو محظور حظرته الشريعة قليلاً كان أو كثيرًا .

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**من فقه الرجل قصده في معيشته**»[٢]، قال الحسن البصري: ليس في النفقة في سبيل الله سرف، وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف .

الصفة السادسة : البعد عن الشرك :

قال جل جلاله: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾[الفرقان:٦٨]، فتوحيد الله عز وجل أساس هذه العقيدة ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة في الاعتقاد والغموض والالتواء، والتعقيد الذي لا يقوم أساسه نظام صالح للحياة . عن عمرو ابن شرحبيل قال: «قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «**أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك**». قال: «ثم أي؟» قال: «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**». قال:

---

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب (١٨/٥٨).

(٢) رواه أحمد .

«ثم أي؟» قال: «**أن تزاني حليلة جارك**» فأنزل الله تصديقها: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ**﴾[الفرقان:٦٨] [١]. فالشرك بالله من أكبر الكبائر ومن الموبقات؛ لذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٤٨].

الصفة السابعة: البعد عن القتل العمد:

قال جل في علاه: ﴿**وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[الفرقان:٦٨]، فالقتل العمد دون حق، هو إزهاق النفس الإنسانية دون حق، وهو اعتداء على صنع الله، وإهدار لحق الحياة الذي هو أقدس حقوق الإنسان. عن أنس بن مالك: «**الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين**» وقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: وقول الزور** -أو قال-: **وشهادة الزور**»[٢]، أما القتل بحق كالقتل بسبب الردة أو زنى المحصن أو القصاص فجائز شرعًا من قبل الحاكم.

الصفة الثامنة: اجتناب الزنى:

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلا يَزْنُونَ**﴾ الزنى هو: انتهاك لحرمة العرض، وهو جريمة خطيرة تؤدي إلى اختلاط الأنساب وإشاعة الأمراض وهدم الحقوق وإثارة العدوان والأحقاد والبغضاء، وقلة النسل كما هو الآن في الغرب الذي يعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات لا لشيء إلا لإباحة ما حرم الله ونشر جريمة الزنى بين المسلمين، كما هو منتشر عندهم، ولكن الله قيض لهذه الأمة من العلماء الأجلاء الذين وقفوا في وجوههم وبينوا وأظهروا حقدهم على الإسلام والمسلمين، فرد الله كيدهم في نحورهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[الصف:٨].

يقول صاحب الظلال في ذلك: «والتحرج من الزنى هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيواني الغليظ، ويحس بأن للتقائه بالجنس الآخر هدفًا أسمى من وراء سعار اللحم والدم والحياة الهابطة الغليظة التي لا هم للذكران والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار»[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٦٥٣)، ومسلم برقم (٨٨).

(٣) «في ظلال القرآن» (١٨/٥٩).

الصفة التاسعة: تجنب الكذب والباطل وشهادة الزور:

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[الفرقان: ٧٢]. فلا يحضر المسلم مجالس اللغو والكذب والغناء واللهو ونحوها، ولا يؤدي شهادة الزور مهما كانت البواعث والأسباب؛ لأنها محرمة .

ففي الصحيحين عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الشرك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.[1].

فالمؤمنون لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء.

الصفة العاشرة : قبول المواعظ:

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**﴾ [الفرقان: ٧٣]. وهذه من صفات المؤمنين : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[الأنفال: ٢] فإذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزله من لا يسمع ولا يرى .

الصفة الحادية عشرة : الابتهال إلى الله :

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[الفرقان: ٧٤] يقول صاحب الظلال: «وأخيرًا فإن عباد الله لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، وأنهم يتسمون بتلك السمات العظيمة كلها، بل يرجون أن يعقبهم ذرية تسير على منهجهم، وأن تكون لهم أزواجًا من نوعهم فتقر بهم عيونهم، وتطمئن قلوبهم، ويتضاعف بهم عدد عباد الرحمن، ويرجون أن يجعل الله منهم قدوة طيبة للذين يتقون الله ويخافونه»[2].

وللقدس أهمية كبيرة في الإسلام، وذلك لما ورد في شأنه من آيات في القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٥٤).

(٢) «في ظلال القرآن» (١٨/ ٥٩).

بيت المقدس في القرآن الكريم: يعتبـر مسجد بيت المقدس (المسـجد الأقصى) ثاني بيت بني بعد المسجد الحرام في مكة المكرمـة قال تباركت أسماؤه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٦].

وقـد توجه المسلمـون في بداية الرسـالة المحمـدية في صـلاتهم نحو بيت المقـدس، واتخذوه قبلة: «وكان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا قبل أن يؤمر بالتوجه إلى الكعبة في مكة المكرمة»(١).

وقد ربط الله تعالى بين المسجد الأول - البيت الحرام بمكة - والمسجد الثاني -المسجد الأقصى ببـيت المقدس - برباط مـقدس فكان إسـراء النبي ﷺ من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقـصى، ومنه إلى رحلة المعراج إلى السموات العـلا قال: جلَّ شأنه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

قال السيوطي : «فلو لم يكن لبيت المقدس من الفـضيلة غير هذه الآية؛ لكانت كافية وبجميع البـركات وافية؛ لأنه إذا بورك حوله فـالبركة فيه مضـاعفة، ولأن الله لما أراد أن يعرج بنبيه محمد ﷺ جعل طريقه عليه تبينًا لفضله، وليجعل له فضل البيتين وشرفها، وذلك لأن مسجد المدينة المنورة لم يكن قـد بني بعد؛ لأن سورة الإسراء مكية، ولم يكن الرسول قد هاجر إلى المدينة»(٢).

ونظرًا لقداسة المسجدين وأهمـيتها عند الله فقد أقسم بهما كـما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾[التين: ١-٣] فالبلد الأمين مكة، والتين والزيتون إشارة إلى بيت المقدس .وقد جاء ذكر بيت المقدس على لسان موسى عليه السلام، وذلك في قـوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[المائدة: ٢١].

قال الضحاك: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس .

أولاً: فضل المسجد الأقصى وبيت المقدس في القرآن الكريم:

(١) وصف القرآن الكريم في كثير من آياته بيت المقدس ومسجده بالبركة وهي النماء

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/٥٠٢).

(٢) السيوطي ص (٩٥-٩٦).

والزيادة في الخيرات والمنح والهبات؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:٧١] . وهذا حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى بيت المقدس وبلاد الشام .

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[الأعراف:١٣٧]، وفي قصة سليمان عليه السلام يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا . . .﴾[الأنبياء:٨١] .

وقال تعالى على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[المائدة:٢١]، وعند حديث القرآن عن هناءة ورغد عيش أهل سبأ يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾[سبأ:١٨]، وهي قرى بيت المقدس كما روى العوفي عن ابن عباس .

(٢)وصف القرآن أرضها بالربوة ذات الخصوبة، وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماءها بالمعين الجاري. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون:٥٠] . قال الضحاك وقتادة : «وهو بيت المقدس، قال ابن كثير: وهو الأظهر» .

(٣) أنه القبلة التي كان يتوجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون قبل تحويلها إلى الكعبة، حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا ثم حُولِّت، وأشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾[البقرة:١٤٣] .

(٤) أنه أرض المنادي من الملائكة نداء الصيحة لاجتماع الخلائق يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[ق:٤١]. قال قتادة وغيره: « كنا نحدَّث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض» .

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «ودلت الدلائل المذكورة على أن «ملك النبوة» بالشام

والحشر إليها، فإلى بيت المقدس، وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناكُ يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، كما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خيرٌ من آخرها، كما أن في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام، كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

(٥) نَعَت الله تعالى المانعين لإقامة الشعائر فيه بأنهم أظلم البشر، وتوعدهم بالخوف عند دخوله، وبحلول الخزي في الدنيا والعذاب العظيم فى الأخرى كما قال سبحانه: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾** [البقرة: ١١٤] . ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في «بختنصّر»؛ لأنه كان خرّب بيت المقدس، وروي عن ابن عباس وعن قتادة قال: «أولئك أعداء الله النصارى حملهم إبغاض اليهود على أن أعانوا (بختنصر) البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس»، ومعلوم أن هذا التخريب بقي إلى زمان عمر رضي الله عنه. ولكن الآن يعمّ حكمها كل مسجد مُنِعَ الناس من إقامة شعائر الله فيه سواء بالتخريب الحسي كما فعل (بختنصر) بمعبد بيت المقدس أو بصدّ الناسكين عنه كما فعلت قريش مع النبي ﷺ .

ثانيًا: السنة الصحيحة وفضل المسجد الأقصى:

(١) **مشروعية السفر إلى المسجد الأقصى لقصد التعبد:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[1] فالشارع ينهي عن السفر إلى أي مكان مسجداً كان أو غيره لقصد العبادة، ما عدا المساجد الثلاثة المستثناة في أسلوب الحصر، ومما يدل على تعميم كل الأماكن إلا المساجد المذكورة ما رواه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور، فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجتَ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلاّ إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيليا، أو بيت المقدس يشك**». قال ابن تيمية: «وكذلك ينهى عن السفر إلى الطور المذكور في القرآن فمن باب أولى أن ينهى عن السفر إلى غيرهما من الأمكنة».

---

(١) رواه مسلم برقم (١٣٣٨).

(٢) أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني في الأرض: لما في حديث الصحيحين عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أَوَّلُ قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنة. ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه**»[١]. وسيأتينا مزيد بيان لهذا الحديث عند الكلام عن تاريخ بناء المسجد الأقصى .

(٣) إتيان المسجد الأقصى بقصد الصلاة فيه يكفر الذنوب ويحط الخطايا :عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألاّ يأتي هذا المسجد أحدٌ لا يريد إلاّ الصلاة فيه، إلاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» فقال رسول الله ﷺ : «**أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة**»[٢]. ولأجل هذا الحديث كان ابن عمر ﷺ يأتي من الحجاز، فيدخل فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء مبالغةً منه لتمحيص نية الصلاة دون غيرها، لتصيبه دعوة سليمان ﷺ .

وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى، لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه فحسن .

قال ابن تيمية : «والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلاّ المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة عن سائر المساجد الطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به، ولا فيها ما يتمسح به، ولا ما يقبّل، فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ ، ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، ولا بصخرة بيت المقدس، ولا بغير هؤلاء.. بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة. ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شرٌ ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة... فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلةً يصلي إليها فهو كافرٌ مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل، مع أنها كانت قبلة لكن نُسخ

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٦٦)، ومسلم في «كتاب المساجد ومواقع الصلاة» .

(٢) رواه النسائي، وابن ماجه واللفظ له .

ذلك، فكيف بمن يتخذها مكانًا يطاف به كما يطاف بالكعبة؟!... فهذه الأمور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات».

(٤) مدح النبي ﷺ لمصلاه، وأن ثواب الصلاة فيه مضاعف: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرىً منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعًا**» قال: أو قال: «**خيرٌ له من الدنيا وما فيها**».

وهذا حديث شريف مشتمل على فوائد جمة منها:

- بشارة النبي ﷺ بفتح بيت المقدس؛ لأن هذا كان قبل الفتح العمري ببضع عشرة سنة، ومن مؤيدات هذه البشارة حديث عوف بن مالك عن النبي ﷺ: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس...**»[(١)].

- أن صلاةً في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه عدا مسجدي مكة والمدينة.

(٥) ثبات أهل الإيمان فيه عند حلول الفتن:

لحديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم إذا رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام**».

(٦) أنها حاضرة الخلافة الإسلامية في آخر الزمان:

عن أبي حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي ثم قال: «**يابن خوالة: إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

(٧) أهلها المقاتلون في سبيل الله من الطائفة المنصورة نصًا :

عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك**» فقال عبد الله: ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة»(١).

وقوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[البقرة:٥٨]. قال السيوطي : لم يخص الله تعالى مسجدًا سوى بيت المقدس بأن وعدهم أن يغفر لهم خطاياهم بسجودهم فيه دون غيره إلا بفضل خصه الله به .

وهناك آيات أخرى كثيرة قال المفسرون: إنها تعني بيت المقدس منها قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:٢٥٩] جاء في تفسير الجلالين أن القرية هنا هي «بيت المقدس» .

وفي قوله تباركت أسماؤه: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾[المؤمنون: ٥٠]. قال ابن عباس هي: بيت المقدس .

وفي قوله جل شأنه: ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾[الأنبياء: ٨١] فالمقصود بالأرض التي باركنا فيها: «بيت المقدس من بلاد الشام» .

بيت المقدس في السنة النبوية المطهرة : (عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال: «**المسجد الحرام**»، قلت: أي قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم بينهما قال: «**أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد**» (٢).عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة**

---

(١) رواه مسلم . (٢) سبق تخريجه .

مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى» [١].

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» فقال النبي ﷺ: «**أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة**»[٢]. والطريق إلى القدس يمكن حصره في ثلاث دوائر ذات مركز واحد هو القضية الفلسطينية.

أولاً: الدائرة الصغرى ويشغلها العمل الفلسطيني: فالشعب الفلسطيني هو صاحب القضية، وهو بذلك يشكل الطليعة الأولى والمتقدمة للآخرين وعليه يقع العبء الأكبر في العمل من أجل القضية، وعلى نجاحه في رص الصفوف، وتصعيد العمل المسلح يتوقف نجاح العاملين في الدوائر الأخرى .

ثانيًا: الدائرة الوسطى ويشغلها العمل العربي: فالأمة العربية هي عمق القضية وسندها الحقيقي، وهي بذلك تشكل خط الإمداد الأول ماديًّا وبشريًّا في العمل من أجل القضية، وهذا يفرض عليها التزامًا قوميًّا ودينيًّا .

ثالثًا: الدائرة الكبرى ويشغلها العالم الإسلامي قاطبة: فالمسلمون جميعًا معنيون بتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى النبي ﷺ، وتحريره ليس مسؤولية الفلسطينين والعرب فحسب، بل مسؤولية كل المسلمين، ولن يتم ذلك بسهولة فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

فإذا كان اليهود خططوا لأكثر من مائة عام مضت لاحتلال القدس الشريف، فلا ضير أن نخطط نحن لمائة عام قادمة لاسترداده، ولن يتم ذلك إلا بالصبر وقوة الإرادة والتوكل على الله عز وجل، وإعداد القوة المادية التي تمكننا من ذلك فلا نكتفي بالشجب والإدانة والاستنكار، فتلك كلمات جوفاء، ولكن نتخطى ذلك بالفعل، ونحن قادرون بإذن الله على تحرير القدس وسائر البلاد الإسلامية التي ترزح تحت نيران الاحتلال سواء في كشمير أو في البلقان أو في الشيشان وغيرها من الأراضي الإسلامية المحتلة من قبل الأعداء .

وصدق الله إذ يقول: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[محمد: ٨].

الباب السادس

الجهاد والمبشرات

الفصل الأول

الحل في الجهاد

الجهاد سبيل العزة :

إن غاية المسلم في هذه الحياة إما أن يعيش عزيزًا أو يموت كريمًا .

قال الشاعر :

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم　　　بين طعن القنا وخفق البنود

وقال الحكيم:

وإذا لم يكن من الموت بد　　　فمن العار أن تموت جبانًا

هذه هي الحياة التي يريدها من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وتمكن الإيمان من قلبه، وخالط لحمه ودمه، ولن تكون الحياة بهذا المضمون إلا إذا رفعنا راية الجهاد في سبيل الله عالية خفاقة لا في سبيل غاية أخرى، فغاية المسلم من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وقد فرض دينه عليه ألا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى، فحب الجاه عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام والغلول من الغنيمة عليه حرام، وقصد الغلب بغير حق عليه حرام، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس[1].

فقد كانت حروب المسلمين المثل الكامل في الحروب فها هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه يقول لرؤساء جيشه: «لا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا امرأة ولا صبيًّا ولا شيخًا كبيرًا ولا تعقروا إلا للأكل ولا تجهزوا على جريح ولا تقطعوا شجرة، وستمرون على أقوام في الصوامع فدعوهم فيما هم فيه ولا تقتلوهم»[2].

فالحروب على كثرتها كانت قائمة عندهم على العدل ليس فيها ظلم ولا عسف ولا جور، انتصروا بقوة الإيمان وبالخلق الفاضل النبيل فنصرهم الله تبارك وتعالى، وأعزهم وكتب لهم الغلبة على أعدائهم فلن يتأتى النصر المبين إلا بعد رفع راية الجهاد، وخاصة

---

(١) «الجهاد الإسلامي المعاصر فقهه» (حركاته) أعلامه حسني أدهم جرار ص (٤٢).

(٢) «الصديق أبو بكر» محمد حسنين هيكل ص(٩٦).

في هذا القرن الذي ابتليت فيه أمتنا باحتلال الكثير من أراضيها وتكالبت عليها الأمم، من كل حدب وصوب فأصبحنا شاة وديعة في وسط مجموعة من الذئاب تتخاطفنا من اليمين والشمال مع أننا كثرة، ولكن كغثاء السيل كما أخبر بذلك الصادق المصدوق. عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: «**بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوك المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[1].

وقد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على رسوله وعلى المؤمنين في السنة الثانية من الهجرة قال جل شأنه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢١٦].

وقال جلت حكمته: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[التوبة:١٢٣] . وجاء في الحث على الجهاد والتحريض عليه والإشارة إلى فضله والثواب عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الصف:١٠-١٣]. فدلهم على ما في الجهاد من عاجل الفائدة وآجلها فأما العاجل فهو النصر على الأعداء، وما يرزقونه من فتح بلادهم وغنم أموالهم وأهليهم وأولادهم، وأما الآجل فهو الجنة والنعيم المقيم، قال تباركت أسماؤه: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[النساء:٧٤]. وقال في مدح المجاهدين والثناء عليهم: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾[الأنفال:٧٤]. وقال في حياة الشهداء: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[آل عمران:١٦٩].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

وقال سبحانه : ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]. وعن أبي ذر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**» ومن حديث طويل رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال: «**الإيمان بالله ورسوله**» فقيل : ثم ماذا؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**ثم حج مبرور**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتكفل الله للمجاهد في سبيله أن يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرجعه سالمًا بما نال من أجر أوغنيمة**» (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجلّ؟ قال: «**لا تستطيعوه**»، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا. كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة : «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر عن صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق**» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة كلهم حق على الله – يعني: عونه– المجاهد في سبيل الله والناكح المستعف والمكاتب يريد الأداء**» حديث صحيح(٥).

فقوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]. فكما أسلفنا أن هذه أول آية فرض فيها القتال على المسلمين، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة؛ إذ كان القتال محظورًا على المسلمين في مكة، ثم أذن الله لهم في مقاتلة المقاتلين من المشركين بعد الهجرة إلى المدينة، بقوله: جل شأنه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦)، ومسلم برقم (٨٤).
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مسلم (١٨٧٨).
(٤) رواه مسلم برقم (١٩١٠).
(٥) رواه النسائي وأحمد والحاكم .

﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج:٣٩]. ثم أبيح القتال لكل المشركين ثم فرض القتال. فالله سبحانه قد فرض القتال في هذه الآية على المسلمين لقتال الكفار فرض كفاية إن تحققت الحاجة، فإن لم تتحقق ودخل العدو بلاد المسلمين كان فرض عين[1]كما أجمع جمهور العلماء على ذلك.

وهذا هو المتحقق الآن فاليهود إخوان القردة والخنازير محتلون لأرض فلسطين وهي أرض إسلامية ومحتلون للجولان، وهي أرض إسلامية ومحتلون لمزارع شبعا في لبنان، وهي أرض إسلامية، والروس محتلون لجمهورية الشيشان وهي أرض إسلامية، والهند محتلة لكشمير، وهي أرض إسلامية والصرب محتلون لبعض الأراضي في إقليم كسوفا والبوسنة والهرسك، وهي أراضٍ إسلامية والأمريكان اليوم محتلون للعراق، وهي دولة إسلامية فصار الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم يستطيع الدفاع عن هذه البلاد، واسترداد ما احتله الكفار من الأراضي الإسلامية، ولكن من يفكر في الجهاد والذهاب لتحرير البلاد والعباد يوصم بالإرهاب هذا إذا وصل إلى تلك البلاد، ولكنه في أغلب الأحيان لن يستطيع الوصول؛ لأن ولاة الأمور لن يسمحوا بذلك فضيعوا تلك الفريضة فهانوا وذلوا على يد أحقر أمم الأرض. ويقول جلت قدرته: **﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[النساء:٧٤].

بين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن الذين يقاتلون في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه، هم الذين باعوا دنياهم الفانية بالآخرة الباقية حتى يتحقق لهم إعلاء كلمة الله فتكون هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

ولقد أوجب الله لمن يقاتل في سبيله حسن المثوبة وهو الجنة، والأجر الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم، وريحه مسك، والذي**

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٣/٣٨).

نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو، فأقتل، ثم أغزو فأقتل» (١).

ومن العجب بعد كل هذا الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي أعده الله للمجاهدين ترى الأمة في ثبات عميق وغفلة شديدة عما يحاك لها من مؤامرات، فمتى يصحو المارد من غفوته ويعلنها بأعلى صوته حي على الجهاد؟!!

يا أمتي وجب الكفاح فدعي التشدق والصياح

ودعي التقاعس ليس ينصر من تقاعس واستراح

ودعي الرياء فقد تكلمت المذابح والجراح

كذب الدعاة إلى السلام فلا سلام ولا سماح

يا قوم . . . إن الأمر جدُّ قد مضى زمن المزاح

ثم زاد الترغيب في الجهاد بنفي الأعذار قال تباركت أسماؤه: **﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾**[النساء: ٧٥].

فالله سبحانه قد حض على الجهاد لتخليص المستضعفين من أيدي الكفرة الذين يسومونهم سوء العذاب، فأوجب الله تعالى الجهاد؛ لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس .

ثم عقد الحق سبحانه وتعالى مقارنة بين أهداف القتال عند المسلمين وأغراض القتال عند المشركين، قال جل شأنه: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾**[النساء: ٧٦]. فبين سبحانه أن المؤمنين يقاتلون؛ لأجل إعلاء كلمته ونصرة دينه وإنصاف الشعوب لا من أجل الاستغلال والتعدي والظلم وسلب الملكيات ونهب الثروات، كما هو حاصل الآن من أعداء الله .

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٧٦)، والبخاري برقم (٣٦).

وأما الكافرون فهم يقاتلون لأغراض وهمية أو مادية دنيئة أو شهوانية ذاتية فهم يرضون وسوسة الشيطان وإعلاء الوثنية ومناصرة الكفر، أو يطمعون في الحصول على الغنائم . ولكن المصير المحتوم هو تغلب الحق على الباطل في النهاية؛ لأن الحق قوي ثابت وجنده أعز وأمنع، وأما الباطل فضعيف مهزوم وجنده أضعف وأخوف والحق يعلو ولا يعلى عليه؛ لذا أمر سبحانه بقتال نصراء الشيطان الذين أوهمهم ووسوس لهم أن في الظلم شرقًا وغربًا إعلاء مكانة لهم ولا تغرنكم قوتهم وأعدادهم وأسلحتهم فإن كيد الشيطان وتدبيره أو وسوسته كان ضعيفًا، لا تأثير له عند ذوي العقول الناضجة والأفكار السامية، وأما أنتم فوليكم الرحمن وناصركم ومدبر أموركم ما نصرتموه وجند الله هم الغالبون، وجند الله هم المفلحون [١]. وبعد أن بين سبحانه فرض الجهاد وثواب المجاهدين، نهى المؤمنين عن التشبه بأقوال المنافقين بقوله جلت حكمته: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ**﴾[آل عمران:١٥٦-١٥٨] . ينهى الله تعالى عباده المؤمنين ويحذرهم من مشابهة المنافقين في اعتقادهم الفاسد الذي وضح بقولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم .

يأيها المؤمنون لا تكونوا كأولئك المنافقين الذين قالوا في شأن إخوانهم حين سافروا في البلاد للتجارة فماتوا، أو كانوا غزاة محاربين فقتلوا: لو كانوا باقين عندنا ما ماتوا وما قتلوا يقول صاحب الظلال: إن قول الكافرين : ﴿**لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾[آل عمران:١٥٦]، ليكشف عن الفارق الأساسي في تصور صاحب العقيدة، وتصور المحروم منها للسنن التي عليها الحياة كلها وأحداثها سراؤها وضراؤها، إن صاحب العقيدة مدرك لسنن الله متعرف إلى مشيئة الله مطمئن إلى قدر الله .

إنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما

---

(١) «التفسير المنير» (٥/ ١٥٤).

أخطأه لم يكن ليصيبه . **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾**[آل عمران:١٥٦] . يقولونها لفساد تصورهم لحقيقة ما يجرى في الكون ولحقيقة القوة الفعالة في كل ما يجري، فهم لا يرون إلا الأسباب الظاهرة، والملابسات السطحية بسبب انقطاعهم عن الله، وعن قدره الجاري في الحياة . **﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾**[آل عمران:١٥٦] فإحساسهم بأن خروج إخوانهم ليضربوا في الأرض في طلب الرزق فيموتوا أو ليغزوا، ويقاتلوا فيقتلوا إحساسهم بأن هذا الخروج هو علة الموت أو القتل يذهب بأنفسهم حسرات؛ إذ لم يمنعهم من الخروج، ولو كانوا يدركون العلة الحقيقية وهي استيفاء الأجل، وقدر الله وسنته في الموت والحياة ما تحسروا ولتلقوا الابتلاء صابرين ولفاؤوا إلى الله راضين . **﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾**[آل عمران:١٥٦] فبيده إعطاء الحياة وبيده استرداد ما أعطى في الموعد المضروب والأجل المرسوم سواء أكان الناس في بيوتهم، وبين أهليهم أو في ميادين الكفاح للرزق، أو العقيدة، وعنده الجزاء وعنده العوض عن علم وعن بصر. **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [آل عمران:١٥٦] .

ثم يخبرنا سبحانه مؤكدًا خبره بالقسم بأن من يقتل في سبيله أو يموت فإن ما ينتظره من مغفرة تمحو ما كان من ذنوبه وسيئاته ورحمة ترفع درجاته خير له مما يجمع الذين يحرصون على الحياة ليتمتعوا بالشهوات والملذات؛ إذ لا يليق بالمؤمنين الذين يؤثرون مغفرة الله ورحمته الدائمة على الحظوظ الفانية أن يتحسروا على من يقتل منهم أو يموت في سبيل الله، ويودوا لو لم يكونوا خرجوا من دورهم إلى حيث لقوا حتفهم فإن ما يلقونه بعد هذا الحتف خير مما كانوا فيه قبله[1].

ثم بعد التحذير من أقوال المنافقين قال سبحانه: **﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**[آل عمران:١٦٩، ١٧٠]. لا تحسبن يا محمد أو يأيها السامع لقول المنافقين الذين ينكرون البعث أو يرتابون فيه فيؤثرون

(١) «تفسير المنار» (٣/ ١٦١).

الدنيا على الآخرة ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أن من قتلوا في سبيل الله أموات قد فقدوا الحياة وصاروا عدمًا . ولكن الحقيقة غير ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب،فقال عز وجل: أنا أبلغهم عنكم**» فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾(1) .

فالخروج إلى قتال الأعداء هو سبب للسلامة في الغالب؛ لأن الأمة التي لا تدافع عن نفسها يطمع غيرها فيها فإن هاجمها الأعداء ظفروا بها ونالوا ما يريدون منها، كما هو حاصل الآن بأمة الإسلام .

ثم بعد ذلك بين سبحانه في سورة الأنفال، أن هذا الجهاد لا بد فيه من الإعداد والاستعداد للقاء الأعداء فالنصر من عند الله، ولكن لا بد من الأخذ بأسبابه ومن أسبابه إعداد القوة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]. قال صاحب الظلال(2): إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض؛ لتحرير الإنسان وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها، والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على ديار الإسلام التي تحميها تلك القوة، والأمر الثالث أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألاَّ يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها، والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها، ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده، ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه فهي في حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٤٣).

والهدف من إعداد هذه القوة كما توضح الآية هو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض . في قلوب الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة فالمسلمون مكلفون بأن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله .

ثم بين سبحانه من نقاتل فقال تباركت أسماؤه: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[التوبة: ٢٩-٣٢]. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[التوبة: ٣٤]. إن المؤمنين في جهادهم لا يقاتلون أي فئة، وإنما يقاتلون الفئة الباغية الطاغية التي تحارب دين الله أن يستقر في النفوس، الفئة التي تحارب شرع الله أن يستقر في الأرض الفئة، التي لا تقيم وزنًا للحق والعدل، وتلك هي الفئة التي عناها الله سبحانه بقوله جلت قدرته: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[التوبة: ٢٩].

مشروعية الجهاد:

يمكن إجمال مشروعية الجهاد في أمور ثلاث هي :

أولاً: حالة الاعتداء على الدعاة إلى الله بمصادرة حرية التبليغ الإيجابية، أو وقوع فتنة في الدين أو المحاربة بالفعل: قال تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ**

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج:٣٩-٤١]. فهذه الآيات من سورة الحج تعتبر هي الإذن للمسلمين بالقتال دفاعًا عن دينهم، ومعتقداتهم، فقد كان رسول الله ﷺ حين بعثه الله عز وجل بالرسالة لم يؤمر بالقتال، قال جلت حكمته : ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[النحل:١٢٥]. وكانت قريش قد اضطهدت المسلمين حتى فتنت بعضهم عن دينه، وخاصة من المستضعفين ونفوهم من مكة، فمنهم من فر بدينه إلى الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ومنهم من صبر على الأذى فأذن الله لعباده المؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا عليهم العدوان بسبب ما نالهم من ظلم، طالما صبروا عليه، فهذه الآية الكريمة سبقت القوانين الوضعية في تشريع الدفاع عن الدين والنفس والمال والوطن، فالمدافع عن ماله ووطنه ونفسه لا يؤاخذ أمام الله عز وجل، ولا أمام العدالة مهما قتل أو زهق من أرواح، فالآية إذن تقرر أن المسلمين مأذون لهم في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدي عليهم، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد**»[1] .

وقال جل شأنه: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة:١٩٠-١٩٤]. فالآيات الكريمة تؤكد أن الإذن بالقتال كان

---

(١) رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي : صحيح الإسناد .

لدفع الاعتداء، سواء كان ذلك الاعتداء بالقتال الفعلي من المشركين أو بظهور بوادر تدل على أن الأعداء يهمون ويستعدون للقتال، فالقتال لم يشرع لحمل الناس على الإسلام، بل شرع لدفع الأذى والعدوان عن المسلمين، فهذا يدلنا على أنه إذا كانت في الإسلام حرب فإنما هي حرب دفاعية وقائية ليست حرب انتقام أو اغتصاب أرض أو إذلال طائفة من الناس تهلك الحرث والنسل، وتأكل الأخضر واليابس، بل هي حروب مقدرة بالضرورة؛ لدفع العدوان، قال سبحانه: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج: ٤٠]. إذن فالإسلام شرع الحرب على أنها وسيلة لا غاية لحل مشكلات المجتمع، في وقت كانت فيه القوة الغاشمة هي العائق الوحيد الذي يقف أمام دعوة الحق.

ثانيًا: الحرب لنصرة المظلوم فرد أو جماعة: قال تباركت أسماؤه: ﴿**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾[النساء: ٧٥]. ففي الآية الكريمة حض على الجهاد وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذي يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن دينهم. فأوجب الله تعالى الجهاد؛ لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف للنفوس، فتخليص الأسرى من أيدي العدو واجب على جماعة المسلمين سواء كان بالقتال أو بالفداء. عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فكوا العاني وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائع وعودوا المريض**» [(١)]. وقد ناصر الرسول صلى الله عليه وسلم خزاعة على قريش في هدنة الحديبية بعد أن استنصروا به وقد أقر حلف الفضول، وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «**إن الإسلام لا يزيده إلا شدة**» فالواجب على المسلمين اليوم أن يقاتلوا في سبيل الله؛ لإرجاع المطرودين من أراضيهم كاللاجئين الفلسطينيين وغيرهم من المستضعفين من أيدي الكفرة والمشركين.

ثالثًا: الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء عن البلاد: قال جلت قدرته: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي**

(١) رواه البخاري، وأحمد.

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٩٠]. واليهود الآن في اعتداء مستمر على أرض المسلمين ويعملون كل يوم على انتهاك حرماتهم، وتدنيس مقدساتهم، وقتل وتشريد أبنائهم، والمسلمون في سبات عميق وغفلة شديدة عما يحاك لهم من مؤمرات يدبرها لهم اليهود وحلفاؤهم من النصارى والسيخ والهندوس، وما يحدث في كشمير المسلمة على يد الهندوس والسيخ الملاعين لهو أكبر شاهد على ذلك، ناهيك عن احتلال أرض الشيشان المسلمة من قبل الروس الشيوعيين، فأصبح الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم للدفاع عن المقدسات الإسلامية ودفع الاعتداء عن أمتنا، وإلا سيتجرأ الكفار علينا أكثر من ذلك ويعملون على هدم الكعبة، واحتلال المدينة المنورة، وهذا ما يدعو إليه شذاذ الآفاق من المفكرين الغربيين فهم يعتبرون أنه بزوال الاتحاد السوفيتي قد زال الخطر الشيوعي، وهناك خطر واحد يتهددهم على حسب زعمهم وهو الخطر الإسلامي فيعملون كل يوم على إبعاد الأمة عن مصدر عزتها وكرامتها القرآن الكريم وسنة الحبيب المصطفى ﷺ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون قال الله جل جلاله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف: ٨].

التقاعس عن الجهاد:

إن الأمة الإسلامية حينما تقاعست عن الجهاد هجم عليها أعداؤها من كل حدب وصوب، فاحتلوا أرضها ونهبوا خيراتها وتحكموا فيها، وليس أدل على ذلك من احتلال القدس الشريف، وغيرها من الأراضي العربية من قبل اليهود وتسلط الروس على المسلمين في الشيشان، وهدم المساجد وقتل وتشريد المسلمين في الهند وكشمير على يد السيخ والهندوس هذا بالإضافة للاضطهاد الذي تتعرض له الأقليات المسلمة في كافة أصقاع الأرض، وهذا كله نتيجة ترك المسلمين لفريضة الجهاد، والله سبحانه وتعالى قد حذر المؤمنين من التقاعس عن الجهاد وتوعدهم بالعذاب الأليم، وها هو تحقق وعد الله حين لم يستجب المؤمنون لهذا التحذير قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا

تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التوبة:٣٨، ٣٩]. إن التقاعس عن القتال من الصفات الذميمة للمنافقين قال سبحانه وتعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**[آل عمران:١٦٧]. ولهذا حذر رسول الله ﷺ المؤمنين من التقاعس عن نصرة دين الله، **والجهاد في** سبيله عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» (١). بل لقد عد رسول الله ﷺ الفرار من الزحف من المهلكات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» (٢). ومما يدخل الأسى والحزن في القلوب أننا لم نسمع أي حاكم من حكام العرب والمسلمين يطلقها مدوية، ويقول: حي على الجهاد، فمتى تطلق إذن؟!!

أنواع الجهاد ووسائله:

قسم الفقهاء الجهاد إلى نوعين: ١- جهاد الطلب . ٢- جهاد الدفع .

جهاد الطلب حكمه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، وهو طلب الأعداء في ديارهم فإما الإسلام وإما الجزية، وهذا الجهاد كان متحققًا في زمن الرسول ﷺ، وفي عهد الصحابة والتابعين، أما في عصرنا الحديث فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أما جهاد الدفع فحكمه فرض واجب على جميع المسلمين المستطيعين للجهاد، وذلك إذا نزل العدو بأرضهم فإذا لم يستطيعوا دفعه كان الجهاد فرض عين على المسلمين الذين يجاورونهم، وهكذا حتى يصير الجهاد فرض عين على جميع الأمة .

والجهاد يكون بـ:

١- المال: قال جلت قدرته : **﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي**

---

(١) رواه أبو داود، وقال البيهقي : حديث صحيح الإسناد .

(٢) رواه البخاري برقم (٢٧٦٦).

سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٤١]. فبالإضافة إلى إنفاق المال في تجهيز الجيوش ينفق المال في نشر دين الله عن طريق إقامة قنوات فضائية إسلامية، ومما يبشر بخير وجود بعض القنوات التي تعمل على تبصير المسلمين بدينهم ومحاربة الخرافات والبدع، مثل قناة المجد، وقناة اقرأ . ويمكن للموسرين من رجال الأعمال المسلمين شراء قمر اصطناعي، وإطلاقه ويكون مجال عمله داخل الولايات المتحدة، وهذا لن يتطلب أكثر من ستة ملايين دولار مع وجود فريق عمل من المذيعين والعلماء لمخاطبة هذا الشعب بلغته التي يفهمها، وسيكون في ذلك فائدة عظيمة، فلا نترك المجال لليهود الذين سمم إعلامهم أدمغة هؤلاء القوم فصوروا المسلمين على أنهم رعاع ومصاصي دماء. ويمكن تكرار هذه التجربة في أوربا وغيرها .

٢- **النفس :** قال جلت حكمته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١]

٣- **جهاد القرآن :** ويكون بإقامة الحجة عليهم وأنهم على ضلال فيما يدعون، أو يعبدون من دون الله قال تباركت أسماؤه: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٢].

٤- **جهاد بالكلمة :** وجهاد الكلمة يكون عند الحكام الجائرين لتقويم اعوجاجهم ونصيحتهم إذا تنكبوا الطريق عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**» (١).

٥- **القيام على شؤون الوالدين :** ويكون بطاعتهما وبرهما وقضاء حاجتهما ورعيتهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي يستأذنه في الجهاد فقال: «**أحي والداك؟**» قال: نعم . قال: «**ففيهما فجاهد**»(٢) .

٦- **جهاد النفس:** وهو جهاد النفس على تعلم الدين، والعمل به، والدعوة إليه،

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٠٤)، ومسلم برقم (٢٥٤٩).

والصبر على الأذى فيه، ويكون بكفها عن المحرمات وحملها على الطاعات بفعل المأمورات وترك المنهيات. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **قال** رسول الله ﷺ : **«لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»**[1].

٧- **جهاد الكفار والمنافقين:** ويكون بالقلب، **واللسان، و**المال. والنفس - وهو المقصود هنا - قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[آل عمران:١٥٦] . إن الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين أن يكونوا كالذين كفروا أولئك الذين تصيبهم الحسرات كلما مات لهم قريب، وهو يضرب في الأرض ابتغاء الرزق، أو قُتِل في ثنايا المعركة، وهو يجاهد. فالمنافقون من وسائلهم تثبيط همم المؤمنين في كل زمان ومكان فهم لا يخافون عدوًّا ولا يساعدون على محاربته، بل يعملون ليل نهار على بث روح الهزيمة في قلوب المؤمنين، إذا قلت لهم اليوم: نريد محاربة أعداء الله، قالوا لك: لا طاقة لنا بحربهم إن لديهم من الأسلحة الفتاكة التي لا نستطيع أن نواجههم بمثلها، إذا قلت لهم: معنا الله، قالوا لك: معهم أقوى دولة في العالم .

المنافقون هم المنافقون لذلك نهى الله المؤمنين عن التشبه بأقوالهم فالموت الذي يخافون منه آت لا محالة يقول جل شأنه: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[الجمعة:٨]. فالموت في ساحة القتال دفاعًا عن الدين والأرض والعرض في شجاعة واستبسال خير من الموت على الفرش جبنًا ودناءة؛ من أجل ذلك جاء التحذير . وهذه بعض أخلاق المنافقين كما وردت في كتاب الله على سبيل الإجمال لا الحصر حتى يتنبه المؤمنون إليها فيزدادوا حذرًا منهم فلا يتشبهوا بأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم .

من هذه الأخلاق الذميمة :

- يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم : قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن**

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٣)، (١٨٦٤).

﴿يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]. في قلوبهم مرض خلقي هو السبب في سلوكهم مسالك النفاق :

قال جلت حكمته : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

- يفسدون في الأرض بأقوالهم وأفعالهم : قال جلت قدرته: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١٢].

- لهم أكثر من وجه : قال تباركت أسماؤه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٤، ١٥].

- يتركون التحاكم إلى الله والرسول ويتحاكمون إلى الطاغوت :

يقول جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[النساء: ٦٠، ٦١].

- إذا دعوا إلى أمر فيه مخاطرة جبنوا وتخاذلوا : يقول جل شأنه: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٢، ٧٣].

- يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين : قال تبارك وتعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وهم بخلاء: يقول تقدست أسماؤه:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

- الكذب في الوعد وفي العهد والإخلاف فيهما ونقضهما : قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» [1].

- تدبير المؤمرات ضد المسلمين أو المشاركة فيها: يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧- ١١٠].

٨- **جهاد الشيطان:** وهو جهاده على دفع ما يلقى إلى العبد من الشبهات والشهوات. يقول سبحانه مناديًا أحب الفئات إليه التي تربطهم به قائلاً لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]. إن هذا النداء حري بالمؤمنين أن تتفتح له قلوبهم ليفقهوه؛ لأنه انبعث من خالقهم الذي يحبهم والنداء والتحذير يكون له وقعه عندما يأتي من المحب، واتباع الشيطان يشتمل على عدة أقسام بينها الله تعالى في كتابه أهمها :

- اتباع الهوى: قال سبحانه : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣) .

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: ٥٠]. وسببه درن يكون في القلب من طمع وحسد وانتصار للنفس ويتولد من الهوى مرض أخطر منه ألا وهو الإعراض عن الحق، فهذا الإمام علي رضي الله عنه كان يدرك خطورة هذا المرض مما جعله يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»[١].

- اتباع سبيل المفسدين : قال جلت قدرته على لسان نبيه موسى موصيًا أخاه هارون: **﴿وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[الأعراف: ١٤٢] يقول: ولا تسلك طرق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم[٢].

- اتباع الشهوات: قال جلت حكمته: **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾**[مريم: ٥٩]. أي فعلوا ما تشتهيه أنفسهم وترغب إليه من المحرمات [٣].

- اتباع السبل المتفرقة :قال تباركت أسماؤه: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[الأنعام: ١٥٣]. فكل سبيل غير سبيل القرآن الكريم والسنة الصحيحة فهو من السبل التي نهينا عن اتباعها، عن عبد الله ابن مسعود، قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل**»، قال يزيد: متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [٤].

- اتباع الظن : قال تعالى: **﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾**[الأنعام: ١٤٨]. يقول الله تبارك وتعالى لحبيبه ومصطفاه قل لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون في الأوثان والأصنام ما تعبدون وتحرمون من الحرث والأنعام ما تحرمونه إلا ظنًّا

---

(١) كتاب الزهد للإمام أحمد ص (١٣٠) .

(٢) «تفسير الطبري» (١٣/٨٨).

(٣) «فتح القدير» (٣/٣٦).

(٤) رواه أحمد .

وحسبانا أنه حق، وهو باطل، وأنتم على باطل : ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾. فلا يوجد مبدأ صحيح على الأرض يعتمد على الظن[1].

- اتباع الآباء: قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١] . فهذا هو سندهم الوحيد وهذا هو دليلهم العجيب، التقليد الجامد المتحجر الذي لا يقوم على علم ولا يعتمد على تفكير، التقليد الذي يريد الإسلام أن يحررهم منه، وأن يطلق عقولهم لتتدبر ويشيع فيها اليقظة والحركة والنور فيأبوا هم الانطلاق من أسر الماضي المنحرف، ويتمسكوا بالأغلال والقيود[2].

- اتباع المتشابه: قال جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧]. إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح ولا تظهر دلالته .

- الزيغ: هو الميل قال تباركت أسماؤه: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: فيتعلقون بالمتشابه من الكتاب فيشككون به المؤمنين، ويجعلونه دليلاً على ما هم فيه من البدعة المائلة عن الحق ابتغاء الفتنة، أي: طلبًا لتأويله على الوجه الذي يريدونه ويوافق مذاهبهم الفاسدة[3]. فكل هذه الأنواع من الاتباع هي اتباع لخطوات الشيطان التي نهى الله عن اتباعها والضمان الوحيد لسلوك طريق الحق، والابتعاد عن الشيطان هو الاستسلام الخالص لله، الاستسلام له بكل ما تحوي هذه الكلمة من معاني، لذلك قال الله مناديًا عباده المؤمنين من جديد : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:٢٠٨]. فهذا النوع من الاستسلام يجعله لا يخاف إلا في الله ولا يتلقى إلا من الله ولا يتبع إلا القرآن والسنة النبوية المطهرة، فتكون خطواته كلها موفقة بعيدة عن خطوات الشيطان وطريقه، وإن المؤمن ليصل إلى درجة أن

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١١) . (٢) «تفسير الظلال» (٥/ ٧٩٣) . (٣) «فتح القدير» (١/ ٣١٥).

الشيطان نفسه يقوم يخطو بعيدًا عن خطواته هاربًا منها، وذلك بعد أن يصل المؤمن إلى درجة الاستسلام الكامل للواحد الديان[١].

ومثال على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه قول رسول الله ﷺ في عمر رضي الله عنه: **«والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»**[٢].

٩- قتال الكفار: فقد أمرنا الله سبحانه بقتال الكفار للأسباب الآتية:

- لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**[التوبة:٢٩]. وما داموا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فسيكونون حربًا على الله ورسوله والمؤمنين وهذا ما حدث من الكفار على امتداد تاريخهم الطويل، منذ بدء الدعوة، وحتى يومنا هذا فهم يفعلون بالمسلمين الأفاعيل، والمسلمون لا يحركون ساكنًا.

- لا يحرمون ما حرم الله وسوله: **﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾**[التوبة:٢٩]. وما داموا لا يحرمون ما حرم الله ورسوله فسوف يعملون بشتى الوسائل على نشر الظلم مكان العدل والربا والرشوة مكان القرض الحسن، والزنى والسحاق واللواط مكان الزواج، ويعملون على نشر الرذيلة مكان الفضيلة واللهو والعبث من شرب للخمر ولعب الميسر وسفور وتبرج واختلاط مكان الجد، وما أحله الله من المشارب والمآكل ومن العفة والطهارة. لذلك أمرنا الله بحربهم للقضاء على تلك المنكرات. ولقد بذلوا قصارى جهدهم لنشر هذه الرذائل في بلاد المسلمين فلم ينج منها بلد إلا من رحم الله، وإن لم يفق المسلمون من غفوتهم فسيسقطون معهم في الهاوية التي سقطوا فيها.

- أنهم لا يدينون دين الحق: **﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾**[التوبة:٢٩] فهم على باطل ترى الواحد منهم يحصل على الدكتوراه في تشريح النملة ولا يؤمن بخالقها سبحانه وتعالى، بل حتى المؤمن منهم بوجود إله يشرك معه آلهة أخرى، فدينهم باطل واعتقادهم فاسد لذلك تراهم يرتكبون أحط وأخس الأفعال التي تنأى البهائم بنفسها أن ترتكبها.

فمن فساد دينهم وخبث طبعهم تراهم في دول مثل إنجلترا وأمريكا يحللون اللواط بين الرجال والسحاق بين النساء، فيذهب الرجلان إلى الكنيسة فيعقد بينهما القسيس،

---

(١) «البيان في مداخل الشيطان» لعبد الحميد البلال ص (٥٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٩٦).

ذلك الزواج الفاسد، والذي يخالف الطبيعة السوية، وكذلك زواج المرأة بالمرأة، والذين يسمونهم المثليين . هذا بخلاف أكل لحم الخنزير وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولقد سئل أحد زعماء أمريكا هل تعرف أباك ؟ قال: أظن أنني أعرفه. فقيل له: فهل تعرف عمك؟ قال : لا . أرأيتم يا جند الإسلام ما وصل إليه هؤلاء القوم من الانحطاط الأخلاقي، فما أحرى المسلمين اليوم أن يقودوا البشرية نحو عبادة الله عبادة خالصة خالية من الشرك والرياء، نحو العفة والطهارة نحو الحق والعدل، نحو الحرية والمساواة التي نادى بها الإسلام .

إن هؤلاء الكفار وعلى رأسهم اليهود يقولون: عزير ابن الله والنصارى يقولون: المسيح ابن الله : ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[التوبة: ٣٠]. وعزير والمسيح بريئان من هاتين الطائفتين الكافرتين فهم بقولهم هذا إنما يضاهئون قول الذين كفروا من قبل سواء من الوثنيين الإغريق، أو الوثنيين الرومان، أو الوثنيين الهنود، أو الوثنيين الفراعنة، أو غيرهم من الذين كفروا لذلك واجب على المسلمين محاربة هؤلاء حتى يوحدوا الله توحيدًا صحيحًا بعيدًا عن كل هذه الخرافات والأباطيل .

أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله: وقد اتخذوا المسيح ربًّا، وأنهم بهذا خالفوا ما أمروا به من توحيد الله وعبادته وحده وأنهم لهذا مشركون .

- أنهم محاربون لدين الله: فهم يحاربون الإسلام تارة باسم الإسلام وتارة باسم الإرهاب، وتارة أخرى باسم الأصولية، والتطرف، وبالنظر إلى بعض أقوالهم نتبين حقدهم الدفين على الإسلام وأهله .

يقول جورج براون في كتابه التبشير والاستعمار في البلاد العربية: لقد كان نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد اختبار لم نجد مبررًا لمثل هذا الخوف. . . لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر والخطر البلشفي، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاؤنا، أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها،

ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي [١].

لأن كثيرًا من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل : فكثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى يأكلون أموال الناس بالباطل ببيع صكوك الغفران وغيرها، ويصدون عن سبيل الله . **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[التوبة: ٣٤].

١٠- جهاد أصحاب الظلم والبدع والمنكرات : ويكون باليد إذا قدر المسلم على ذلك، فإن عجز فباللسان، فإن عجز فبالقلب، حسب الحال والمصلحة. فإن وجد المسلم إنكار المنكر باليد أو باللسان سيأتي من ورائه مضرة أعظم، تركه واكتفى بالإنكار بالقلب كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

آداب الجهاد في سبيل الله :

يمتاز الجهاد في سبيل الله كغيره من فرائض الإسلام وتشريعاته، عن الحروب الجاهلية ونظمها وقوانينها في الأهداف والوسائل وغيرها؛ لأن فرائض الإسلام ومنها الجهاد في سبيل الله من عند الله تعالى، ونظم الجاهلية ومنها الحروب، من عند البشر، والفرق بين شريعة الله، وقوانين البشر كالفرق بين الخالق والمخلوق .

وآداب الجهاد في الإسلام، ويعني بها ما يطلب تركه، فمنها ما هو فرض يجب أداؤه، ومنها ما هو محرم يجب تركه، ومنها ما هو مندوب يسنّ الإتيان به، ثم منها ما يكون قبل المعركة، ومنها ما يكون في أثنائها، ومنها ما يكون بعدها .

- آداب الجهاد المشروعة قبل خوض المعركة : الإخلاص لله تعالى في أداء هذه الفريضة : والإخلاص، معناه تصفية العمل من شوائب الشرك كبيره وصغيره، وهو مطلوب من المسلم في كل أعماله، كما قال تعالى: **﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[البينة: ٥]. وقال تعالى:

---

(١) من كتاب جورج براون نقلاً عن كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور/ مصطفى خالدي، والدكتور/ عمر فروخ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» (١)، وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

وقال الفُضَيل بن عياض في قوله تعالى: **﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾**[الملك: ٢]، أخلصه وأصوبه، قيل: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما ابتغي به وجه الله، والصواب ما كان موافقًا لسنة رسول الله ﷺ(٣)، قال سبحانه وتعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾**[هود: ٧]. وقال تباركت أسماؤه: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[الملك: ٢]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأقوال السلف الصالح، وهي عامّة في كل عمل يتقرب به الإنسان إلى ربه تعالى.

وقد خصّت فريضة الجهاد بالتأكيد على الحرص على إخلاص المجاهد نيته لله تعالى؛ لأن تسرب الرياء إلى المجاهد أسرع منه إلى غيره، ولهذا عنيت النصوص بذلك غاية العناية. فالجهاد نفسه يرد في كتاب الله وسنّة رسوله مقيداً بهذا القيد: في سبيل الله.

ويكفي أن يُساق هنا ما كان يوصي به النبي ﷺ أمراءه وجيوشه إذا جهزهم للجهاد في سبيل الله، ففي حديث بريدة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية - الجيش هو الجمع العظيم، الذي يجيش بعضهم في بعض، والسرية عدد قليل يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار- أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا»، ثم قال: «**اغزوا باسم الله...**»(٤).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري برقم (٦٦٨٩)، ومسلم برقم (١٩٠٧).
(٣) الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٧٣).
(٤) رواه مسلم.

فالغزو ابتداءً يُراد به وجه الله تعالى؛ لأنه يغزو باسمه لا باسم غيره . وكذلك جوابه ﷺ عندما سُئل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء: أيٌّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: فهو في سبيل الله**»[(١)].

لذلك يجب على المجاهدين في سبيل الله أن يتذكروا هذا الأمر العظيم عند خروجهم حتى تكون جميع أعمالهم وحركاتهم في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[التوبة: ١٢١].

- ومن آداب الجهاد الحفاظ على تقوى الله تعالى والازدياد منها: وقد أمر الله بتقواه عمومًا في نصوص كثيرة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، بل مدح التقوى وأثنى على أهلها، وجعلهم أهلاً للاهتداء بكتابه وسنة رسوله ﷺ دون غيرهم من الناس فأمر بها رسول الله ﷺ : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الأحزاب: ١].

بل إن الله تعالى جعلها وصيته للأولين والآخرين، فأمرهم بها جميعًا، كما قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا**﴾[النساء: ١٣١]، وكل رسول أمر بها قومه: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[الشعراء: ١٠٨].

ومدح التقوى، فقال: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[الأعراف: ٢٦].

وقال: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي**

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]، وأثنى على أهلها وجعلهم أحق بها وأهلها، فقال: **﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الفتح:٢٦]. وقال تعالى: **﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة:١، ٢].

وأمر النبي ﷺ أمرًا عامًّا، فقال: «**اتق الله حيثما كنت**»[١].

وأوصى بها المجاهدين عند تشييعهم كما سبق من حديث بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله...»[٢].

والحد الأدنى من تقوى الله أن يأتي الإنسان بالفرائض التي فرضها الله، وأن يجتنب المعاصي التي حرّمها الله تعالى، وذلك موجب للجنة، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرّمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا أدخل الجنة؟ قال النبي ﷺ: «**نعم**»[٣].

وفي حديث أبي ثعلبة الخُشني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**» قال النووي: حديث حسن[٤].

والحد الأعلى للتقوى أن يصل المسلم في وَرَعه إلى ملازمة نوافل الطاعات واجتناب المكروهات، بل أن يصل إلى ترك بعض المباحات خشية من الوقوع في المكروهات، أو المحرمات، كما في الحديث القدسي الذي رواه البخاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[٥].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم برقم (١٥). (٤) رواه الدار قطني، وغيره.

(٥) رواه البخاري.

وفي المبسوط للسرخسي: وإنما يوصيه بتقوى الله تعالى؛ لأنه بالتقوى ينال النصرة والمدد من السماء، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران: ١٢٥] وبالتقوى يجتمع للمرء مصالح المعاش والمعاد[١].

والمقصود هنا بيان تذكير المجاهد بما يشرع له قبل بدئه في قتال عدوه بهذا الأمر العظيم، الذي لا يصلح للجهاد من فقده.

- اجتماع القائد بالجيش للتشاور في الأمور المهمة قبل خوض المعركة: ومن الآداب التي يجب مراعاتها قبل لقاء العدو اجتماع القادة بالمجاهدين للتشاور في الأمور التي تهمهم قبل لقاء العدو، كتعيين ميدان المعركة، والموضع الذي يصلح مركزًا للقيادة، والوسائل التي يجب اتخاذها للقضاء على العدو أو ردّ عدوانه كما حصل ذلك في غزوة بدر وأحد والخندق وغيرها من الغزوات[٢].

- تشييع الغزاة عند خروجهم للجهاد في سبيل الله: ومن آداب الجهاد: تشييع المقيمين -وعلى رأسهم الأمير إن كان مقيمًا- الغزاة في سبيل الله وتشجيعهم بذكر فضل الجهاد والمجاهدين وإظهار إكرامهم، لحفز هممهم وهمم المقيمين على الاستعداد لقتال العدو عاجلاً أو آجلاً[٣].

وفي الموطأ عن مالك عن يحيى بن سعيد أنّ أبا بكر الصديق بعث جيوشًا إلى الشام، فخرج يمشي مع زيد بن أبي سفيان، وكان أمير ربع في تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: «ما أنت بنازل وما أنا براكب إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله...»[٤].

- مبايعة الجيش على الثبات وعدم الفرار: ومن آداب الجهاد أن يبايع أمير الجيش جنده على الثبات قبيل الشروع في القتال، تذكيرًا لهم بحق الله تعالى عليهم من بذل النفس في سبيله، وحضًّا لهم على عدوه بعزم وتصميم وعدم تردد أو تهيّب. فقد كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه على أمور كثيرة من أمور الإسلام، ومن ذلك البيعة على

---

(١) «المبسوط» للسرخسي (١٠/٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/١٨٨)، (٣/٢٧).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٤/ ٨، ٩).

(٤) «الموطأ» (٢/٤٤٨) رقم (١٠).

عدم الفرار من العدو: كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة» وقال: «بايعناه على ألاّ نفر، ولم نبايعه على الموت»(١).

قال النووي - رحمه الله -: «وفي رواية سلمة أنهم بايعوه يومئذ على الموت»(٢)، وهو معنى رواية عبد الله بن زيد بن عاصم، وفي رواية مجاشع بن مسعود: «البيعة على الهجرة، والبيعة على الإسلام والجهاد»(٣).

وفي حديث ابن عمر وعبادة : «بايعناه على السمع والطاعة وألاّ ننازع الأمر أهله - كل هذه الروايات في صحيح مسلم وفي رواية عن ابن عمر في صحيح مسلم: البيعة على الصبر» .

قال العلماء: «هذه الرواية تجمع بين المعاني كلها وتبين مقصود كل الروايات: فالبيعة على الموت على ألا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت، أي: الصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت، لا أن الموت مقصود في نفسه، وكذلك البيعة على الجهاد، أي: والصبر فيه»(٤).

- اتفاق الغزاة في سبيل الله على شعار يميّز المسلمين من غيرهم: ومن آداب الجهاد أن يتفق المجاهدون على كلمة سر لا يعلمها غيرهم، تكون شعاراً لهم ليميز بعضهم بعضًا عندما تلتقي صفوفهم بصفوف عدوهم حتى لا يختلطوا بالمشركين، ويختلط المشركون بهم؛ لأن تمييز المسلمين عن المشركين فيه فوائد عظيمة منها: عدم استطاعة المشركين الاختلاط بهم للتجسس عليهم، أو الغدر بهم، ومنها عدم قتل المسلم أخاه المسلم خطأ منه أنه من أفراد العدو .

وغير ذلك من الفوائد، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه قبل أن يلتقي بهم العدو، شعاراً خاصًا بهم، كما في حديث المهلّب بن أبي صُفْرة -رحمه الله- عمّن سمع النبي ﷺ يقول: «**إن بيّتكم العدو، فقولوا حم لا ينصرون**» وروي عن المهلب مرسلاً عن النبي ﷺ(٥)، وكان أصحابه رضي الله عنهم يطبقون ذلك في غزوهم .

---

(١) «صحيح مسلم» . (٢، ٣) رواه البخاري .

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣ / ٢-٦). (٥) أخرجه الترمذي .

وفي حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال: أمّر علينا رسول الله ﷺ مرة أبا بكر، فبيّتنا ناس من المشركين نقتلهم، وقتلت بيديّ تلك الليلة سبعة أهل أبيات من المشركين، وكان شعارنا: «أمِتْ» وفي رواية أخرى: يا منصور أَمِتْ، أخرجه أبو داود، وانتهت روايته عند أمت الأولى، وفي أخرى لأبي داود أيضًا قال: «غزونا مع أبي بكر زمن النبي ﷺ، فكان شعارنا: أمِتْ. . . أمِتْ» (جامع الأصول من حديث ابن عميس عن إياس ابن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بارزت رجلاً فقتلته فنفلني رسول الله ﷺ سلبه، فكان شعارنا مع خالد بن الوليد: أمت، يعني اقتل، وإسناده صحيح) .

ويظهر من الحديثين : حديث المهلب، وحديث سلمة أن الشعار كان مما يداوَم عليه في الغزو .

- تنشيط المجاهدين بالأناشيد : ومن آداب الجهاد مشاركة القائد جيشه في العمل، والإعداد لقتال العدو والترويح عنهم، بترديد بعض الأناشيد الإسلامية المشجعة مع رفع الصوت بذلك، لما فيه من جلب النشاط والتشجيع على العمل والتهييج على العدو، وما ورد من كراهة رفع الصوت عند القتال لا ينافي رفع الصوت عند الإعداد .

ففي حديث البراء ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق، وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلاً كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبد الله:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام أن لاقينا

أنّ العدا قد بَغَوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا

يرفع بها صوته)[1] .

قال الحافظ : «وجرت عادة العرب باستعماله - الرجز - في الحرب ليزيد في النشاط، ويبعث الهمم، وفيه جواز تمثل النبي ﷺ بشعر غيره . . . إلى أن قال: وكان المصنف - يعني البخاري - أشار في الترجمة بقوله: رفع الصوت في حفر الخندق إلى كراهة رفع الصوت مختصة بحال القتال، وذلك فيما أخرجه أبو داود من طريق قيس ابن عبادة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند القتال».

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٣٤).

- تقسيم الجيش تحت نقباء: من الضروري للقائد أن يكون جيشه منضبطًا منظمًا تنظيمًا يمكنه من تبليغ ما يريد تبليغه إياهم بأقصى سرعة ممكنة، كما أنه قد يحتاج إلى إقناعهم بأمر ما من أمور الحرب، ويصعب إقناع كل فرد على حده لكثرتهم، وقد يظهر بعضهم رضاه بما يأمرهم به القائد، فيظن القائد أن الجيش كله قد وافق على ذلك، مع أن بعضهم قد يكون غير راضٍ، وفي ذلك ما فيه من الخطر الذي قد يقع ممن لم يرضَ بذلك الأمر في وقت يصعب فيه تدارك الأمر، لذلك يجب أن يقسم القائد المسلم جنده إلى مجموعات طبقًا لما تقتضيه المصلحة، ويؤمر على كل مجموعة عريفًا أو نقيبًا يكون مسؤولاً عنهم، وعن طريقه تكون البلاغات والأوامر والمشاورة، وغير ذلك من الأمور .

ففي غزوة حُنَيْن: جاءه قوم هوازن يطلبون منه ﷺ أن يرد إليهم ما أخذ من أموالهم، وسبي من مواليهم ونسائهم، فخطب في أصحابه قائلاً: «**أما بعد فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أردّ إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيءُ الله علينا فليفعل**». فقال الناس: «قد طيبنا ذلك يا رسول الله» فقال رسول الله ﷺ : «**إنا لا ندري من أذِن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**» فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا»[1] .

وقال الحافظ : «وهو - أي: العريف- القائم بأمر طائفة من الناس من عرُفت بالضم وبالفتح على القوم أعرُف بالضم، فأنا عارف وعريف أي وليت أمر سياستهم وحفظ أمورهم، وسمى بذلك لكونه يتعرف أمورهم حتى يُعَرِّف بها من فوقه عند الاحتياج»[2] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث وجود عرفاء في المعركة بمقتضى تنصيبهم قبل البدء فيها، بأن يكون لكل مجموعة منهم عريف يرعى شؤونهم ويبلغهم أوامر القائد وتعليماته، ويرفع إليه ما هم في حاجة إليه .

وفي هذا الحديث الشريف تربية عملية من الرسول ﷺ لمن ولي أمور المسلمين ألا يتصرف في حقوقهم بدون إذنهم، فهو ﷺ ولي أمر المسلمين وكان أصحابه ﷺ

(١) رواه البخاري . (٢) «فتح الباري» (١٣/ ١٦٨).

يقدمون طاعته على رغبات أنفسهم، ويقدمون محبته على محبة أرواحهم، يتسابقون لإنفاذ أوامره، وهو ﷺ معصوم من أن يظلم أو يجور أو يتبع هوى أو شهوة، ومع ذلك يطلب من أصحابه أن يردوا سبي هوازن فيلبون طلبه، ولكنه يخشى أن يكون بعض الأفراد غير راضين، فلا يبتُّ في الأمر حتى يرد الأمر إلى عرفاء الناس الذين يستطيعون أن يعرفوا رأي كل واحد من جماعتهم، ليستيقن ﷺ أن القوم راضون غير مكرهين ولا محرجين .

فأين هذا الأدب النبوي العظيم مما يعمله من ولاّهم الله رقاب المسلمين من الزعماء الذين يغتصبون حقوق الناس بدون حق، ويعملون شتى أنواع الحيل للوصول إلى ذلك، إمّا في صورة قانون جائر، وإما عن طريق بطش ظالم . . .

ومن آداب الجهاد اتخاذ الألوية والرايات :

واللواء أو الراية أو العلم يتخذها المجاهدون، وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش، ثم صارت تحمل على رأسه رمزًا لرفع كلمة الله التي ينضوي تحتها المؤمنون، ويشدون على أعداء الله الذين يريدون إطفاء نور الله، وتحطيم راية الإسلام ورفع راية الكفر .

وقد كان إعطاء الرسول ﷺ الراية لأحد أصحابه، دليلاً على محبة الله ورسوله له ومحبته لله ورسوله، ولذلك كان أصحاب الرسول ﷺ يتمنى كل واحد منهم أن ينال شرفها . ففي صحيح البخاري عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**». قال: «فبات الناس يفكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوا أن يعطاها»، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو - يا رسول الله - يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوه إلي**» فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: «يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» فقال: «**انفد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون حمر النعم**»[1] .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم برقم (٢٤٠٦).

قال الحافظ: «وفي هذه الأحـاديث استحباب اتخـاذ الألوية في الحروب، وأن اللواء يكون مع الأمير أو من يقيمه لذلك عند الحرب»، وقد تقدم حديث أنس: «أخذ الراية زيد ابن حارثة فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، الحديث».

وكمـا يتنافس المجاهدون في حـمل راية الإسلام والانضـواء تحتـها، فإن عـليهم أن يبتعدوا عن راية الجـاهلية، أو الرايات العمياء التي لا يعرف هدفها، خـشية من أن يقادوا إلى ما يسخط الله، وهم إنما يريدون وجهه ورضاه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمـات مات مِيتَةً جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعوا إلى عصبة أو ينصر عَصبةً، فقتل، فقْتَلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يتحَـاشى من مؤمنهَا، ولا يفَي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**» (صحيح مسلم)[١].

والظاهر من قوله: «**يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عـصبة، أو ينصر عصبة**» إنه تفسير لهذه الراية العمية، والمراد أنه لا يقاتل لإعلاء راية الإسلام، وإنما لاتباع هوى أو نصر ذي هوى، فلا يدخل في ذلك من قاتل تحـت راية حاكم جائر ضد احتلال عـدو كافر لأرض المسلمين، والسيطرة عليهم لأن الجهاد ماضٍ مع البر والـفاجر، كما مضى، إلا أن يشترط في هذا الفجور ألا يصل إلى الكفر البواح، فإن كان الحاكم كافرًا كفرًا بواحًا عند المسلمين فيه من الله برهان فعندئذ يجب أن يبدؤوا به فيقاتلوه هو وأعوانه وينصبوا من يحكم فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ لأن الكافر الذي اتضح كفره قد يخدع المسلمين ويتعاون مع أعدائهم ضدهم .

ومن الكفر البـواح : تحليل ما حـرّم الله أو تحريم ما أحلّ الله، مـثل أن يبيح لنفـسه وضع قوانين تخالف أحكام الكتاب والسّنة، أو يعتـقد عدم صلاح الحكم بالإسلام، وكذا من أجاز له ذلك من أعوانه ورعيته فإنه كافر بالله تعالى .

قـال عـدي بن حاتم ﷺ: «أتيـت رسول الله ﷺ وفي عنـقي صليب من ذهب»

---

(١)قال النووي في معنى عـمية: «هي بضم العين وكسرها، لغتـان مشهورتان، والميم مكسورة ومشـددة، والياء مشددة أيضًا، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستـبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قـال إسحاق بن راهوية: كتقاتل القوم للعصبية اهـ . من شرح النووي على صحيح مسلم.

فقال: «**يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك**» قال: «فطرحته وانتهيت إليه، وهو يقرأ سورة براءة»، فقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[التوبة: ٣١]. قال: «قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم» فقال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتحلونه؟**» قال: قلت، بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[١].

دعوة الكفار إلى الإسلام قبل القتال: المقصود من الجهاد في سبيل الله تعالى: رفع راية الإسلام، وهداية الناس إلى الله، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله، والأصل في ذلك أن يبلغ الناس هذه الدعوة بالوسائل الممكنة ويشرح لهم محاسن الإسلام، وأنه فرض على كل الناس أن يدخلوا فيه، وأنه لا دين حق في الأرض سواه: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[آل عمران: ٨٥]. ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[آل عمران: ١٩].

حكم الدعوة قبل القتال: اختلف العلماء في حكم الدعوة قبل القتال، فذهب الحنفيون إلى وجوبها على المجاهدين في حق من لم تبلغهم الدعوة، وإلى أنها أفضل في حق من بلغتهم الدعوة، وإلى جواز تركها في حق من بلغتهم وخشي تحصنهم إذا أنذروا، وخشي منهم معاجلة المسلمين بالحرب[٢] وقريب من هذا ما ذهب إليه الشافعيون، إلا أن الحنفيين قالوا: إذا قاتل المسلمون الكفار الذين لم تبلغهم الدعوة فقتلوهم لم يضمنوا، وقال الشافعيون: يضمنون[٣] والظاهر من مذهب الحنابلة وجوب الدعوة أيضًا في حق من لم تبلغهم واستحبابها في حق من بلغتهم، وفرق بعضهم بين أهل الكتاب والمجوس فيقاتلون بدون دعوة؛ لأن الدعوة بلغتهم، وبين الوثنيين فيجب دعوتهم[٤].

ولا دليل على هذا التفريق، لأن المدار على بلوغ الدعوة وعدمه، والأمة التي بلغتها الدعوة الآن، قد يأتي زمان عليها لم تبلغها الدعوة فيه، ومما يدل على عدم صحة هذا

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (١٠/ ١١٤).

(٢) «المبسوط» للسرخسي (١٠ / ٣٠،٦)، و«شرح فتح القدير» (٥/ ٤٤).

(٣) «حواشي تحفة المحتاج على المنهاج» (٩/ ٢٤٢). (٤) «المغني» لابن قدامة (٩/ ٢١٠).

التفريق قصة سلمان الفارسي مع قومه (وهم مجوس) كما في الترمذي، عن أبي البحتري (سعيد بن فيروز رحمه الله) أن جيشًا من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي، حاصروا قصرًا من قصور فارس، فقال المسلمون: «ألا ننهد إليهم؟» قال: «دعوني أدعوهم، كما سمعت رسول الله ﷺ يدعو، فأتاهم»، فقال: «إنما أنا رجل منكم فارسي، وترون أن العرب يطيعوني، فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه وأعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، ورطن إليهم بالفارسية: وأنتم غير محمودين، وإن أبيتم نابذناكم على سواء» قالوا: «ما نحن بالذي نعطي الجزية، ولكننا نقاتلكم، قالوا: يا أبا عبد الله: ألا ننهد إليهم»، قال: لا فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا، ثم قال: انهدوا إليهم، فنهدوا إليهم، ففتحوا ذلك القصر[1] أما المالكيون فذهبوا إلى وجوب الدعوة قبل القتال مطلقًا، أي سواءً بلغتهم أم لم تبلغهم[2] ومحصَّل الأقوال: أن الحنفيين والشافعيين والحنابلة يرون التفصيل: وجوب الدعوة في حق من لم تبلغهم، وعدم وجوبها في حق من بلغتهم، وأن المالكين يرون وجوب الدعوة مطلقًا، إلا أن الذي نص عليه ابن عبد البر في الكافي يوافق ما نص عليه في المذاهب الثلاثة حيث قال: «وكل من بلغته دعوة الإسلام لم يحتج إلى أن يدعى، وكل من لم تبلغه لم يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وكان مالك يستحب ألا يقاتل العدو حتى يدعوا إلى الإسلام بَلَغَتْهم الدعوة أو لم تبلغهم إلا أن يعجلوا عن ذلك فيقاتلوا[3] ويحكى قول ثالث وهو عدم وجوب مطلقًا[4]، وأرجح الأقوال - فيما يظهر - التفصيل، وهو وجوب الدعوة إلى الإسلام في حق من لم تبلغهم قبل القتال؛ لأنهم حينئذ لا يدرون على ماذا يقاتلون؟ وقد يفسرون مقاتلهم أنها من أجل نهب أموالهم ونحو ذلك، وإقامة الحجة واجبة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥].

ويدل على هذا حديث بريدة: «إذا لقيت عدوك، فادعهم إلى ثلاث خصال... ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فكف عنهم واقبل منهم ...»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (جامع الأصول رقم ١٠٧٥).

(٢) «الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك» (٢/٢٧٥).

(٣) «الكافي» لابن عبد البر (٢/٤٦٦). (٤) «غزوة بني المصطلق» لإبراهيم القريبي ص (٤٥).

(٥) رواه مسلم .

واستحباب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال في حق من بلغتهم قبل ذلك، ولم يخشَ معاجلتهم المسلمين أو فواتهم عليهم، مبالغة في الإنذار الذي قد يهدي الله به القوم، ويدل على هذا أن يهود خيبر كانوا قد بلغتهم الدعوة، ومع ذلك فقد سأل علي ﷺ عندما أعطي الراية، وأمره النبي ﷺ بقتالهم فقال: «يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟» فأجابه رسول الله ﷺ بقوله : «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**... الحديث» [١].

فإن كانوا قد بلغتهم الدعوة، ودلّت القرائن على أنهم يبيتون للمسلمين شرًّا، أو يجمعون جموعهم لقتال المسلمين، فالذي يظهر أنه يجب في هذه الحالة على المسلمين أن يغيروا عليهم دون إنذار سابق؛ لأن المسلمين على حق والكفار على باطل، والفرصة إذا سنحت للمسلمين يجب عليهم اغتنامها وعدم تفويتها، والرسول ﷺ يقول: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**» [٢].

ولعل إغارة الرسول ﷺ على بني المُصْطَلِق وهم غارُّون - أي: غافلون - من هذا الباب؛ لأنهم كانوا ضمن الأحابيش الذين غزوا الرسول ﷺ في غزوة أحد، كما أنهم كانوا يجمعون لقتاله قبل أن يغزوهم، وكذلك غزوة تبوك؛ إذ كان الروم يتحفزون لغزو المسلمين .

ويحصل بلوغ الدعوة بانتشارها، وعلم الناس عنها في الجملة؛ لأن سماعهم بها يلزم الاستفسار عناه وتعلمها، وقد كان كثير من المشركين يبعثون من يأتيهم بخبرها أو يسافرون بأنفسهم لسماعها .

وقد توافرت في هذا العصر الوسائل التي يمكن تبليغ الدعوة بها إلى كافة الناس بلغاتهم : مثل الإذاعة والتلفاز، والهاتف والأشرطة المسجلة، والكتب المترجمة، والصحف والمجلات والإنترنت . . . وغيرها .

ويكفي أن يبلغ زعماء الأمم تلك الدعوة، ويطلب منهم أن يبلغوا قومهم وأن يدخلوا جميعًا في الإسلام، وهم الذين يتحملون بعد ذلك مسؤولية قومهم إن لم يبلغوهم، كما فعل الرسول ﷺ عندما كاتب الملوك والرؤساء . كام في كتابه ﷺ إلى هرقل ما

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم .

نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤][١].

الأريسيون: الفلاحون والزارعون، والمقصود رعاياه[٢].

وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم[٣]، وهكذا فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أبي وائل قال: كتب خالد ابن الوليد إلى أهل فارس: (بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران في ملأ فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قومًا يحبون القتال في سبيل الله، كما تحب فارس الخمر، والسلام على من اتبع الهدى).

❊❊❊❊

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٥٣).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/١٠٩).
(٣) رواه مسلم.

الفصل الثاني

المبشرات بالنصر

أولاً: آيات النصر والتمكين في القرآن الكريم :

قال الله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾**[البقرة: ٢١٤]. في الآية الكريمة تعليم للمسلمين والمجاهدين في سبيل الله أن دخول الجنة لا بد له من تضحية بالمال والنفس والغالي والنفيس في سبيل تحقيق الغاية المنشودة؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى فالآية تصور لنا مشهداً غاية في الرهبة، الرسول ومعه المؤمنون في ساحة الوغى، وقد أصابتهم اللأواء حتى يقول الرسول والمؤمنون وقد استبطؤوا النصر متى نصر الله؟ فتأتي الإجابة من الله عز وجل: **﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** .

وقال تباركت أسماؤه: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الأَبْصَارِ﴾**[آل عمران: ١٣]. وقال جل شأنه: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**[آل عمران: ١٢٦]. وقال عز جاهه: **﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾**[آل عمران: ١٥٠]. وقال تقدست صفاته: **﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[آل عمران: ١٦٠]. وقال جل جلاله: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[الأنفال: ١٠]. وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾**[الأنفال: ٣٦]. وقال عز سلطانه: **﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**[يوسف: ١١٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠]. وقال جلت حكمته: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور: ٥٥]. قال تقدست أسماؤه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]. وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١]. وقال جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

ومن خلال هذه الآيات وما تقرره من حقائق ثابتة ومعلومات مسلمة لا شك فيها ولا ريب أرسل هذه الرسائل علها تجد في قلوب وعقول من أرسلت إليهم مكانًا:

الرسالة الأولى: إلى عموم الأمة المسلمة: لا تيأسوا يا من رضيتم بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وأبشروا وأملوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، واعلموا أن هذه هي سنة الله لن تمكن الأمة حتى تبتلى وتمحص وحتى يُعلمَ الصادق من الكاذب والمؤمنُ من المنافق، ولا يغيبن عن أذهانكم طرفة عين ما ذكر من آيات بأن هذه الأمة منصورة فلا تجزعوا لفترة قد تمر بالأمة عصيبة ولكن هي من مقدمات النصر فلا نصر بدون ابتلاء، ولو وجد النصر بدون الابتلاء لكان أحق الناس به أحبُّ الخلق إلى الله وهو محمد ﷺ .

الرسالة الثانية : إليكم يا شباب الأمة يا من تعقد الأمة أملَها بعد الله عليكم فأنتم عدة المستقبل، وأنتم الشوكة التي في حلوق الأعداء، وإننا والله لنفرح بالأعداد الكثيرة في شرق الأرض وغربها من عودة الشباب إلى الفكر الإسلامي الصحيح والتمسك بالعقيدة ومحبة العلم، وتسارعهم للجهاد في سبيل الله، ونقول: إن هذه من بشائر النصر للأمة، فإذا كان شبابها شباب علم ودعوة وجهاد فبمثل هؤلاء يتحقق النصر، إننا لما نرى صغار المسلمين وهم في حلق القرآن وفي حلق العلم، نفرح ونقول: هذا هو جيل النصر، نفرح لما نرى صغار المسلمين وكبارهم وهم يتكلمون بكلمات تنم عن التربية التي سوف ينشؤون

عليها فنراهم يرددون البغض للأعداء، ومحبة الصالحين والعلماء والمجاهدين فنقول: هذا والله الذي نريد، ولكن رسالتي ليس إلى هؤلاء فالذين ذكرت أقول لهم: ثبتكم الله وزادكم هدىً وتقوى ولكن رسالتي إلى فئة من شباب الأمة تقف حائرةً متخبطةً، فيها خير كثير، ولكن يغلبهم الشيطان في بعض الأحيان وفي أحيان كثيرة تغلبهم الدنيا وزهرتها، أقول لهؤلاء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد:٧]. يا شباب الإسلام كيف ننصر، ونحن لم ننصر الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يا شباب الإسلام كيف ننصر وفينا من يقلد الأعداء في قصة أوفي لبسة أو يعيش بعيدًا عن دينه وربه، فلكم مني هذه الرسالة أقبلوا على ربكم وانصروا دينكم وسوف تعيشون عيش العزة والرفعة ولا يعرف قدرها إلا من جربها وتاب إلى الله وأقبل على دين الله .

الرسالة الثالثة : إليكم أيها الدعاة يا طلبة العلم يا من تبذلون من أوقاتكم وأموالكم وجهدكم نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم، لا تستعجلوا النصر وعليكم بالصبر فهو طريق الأنبياء، وعلى رأسهم محمد ﷺ فقد جاء في صحيح البخاري: (عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

تأملوا وتدبروا «**ولكنكم تستعجلون**» اعلموا أن الطريق طويل، وفيه تضحيات بالمال والنفس والأهل، يا دعاة الحق يا طلاب العلم، لا تستعجلوا قطف الثمرة فتهدموا ما بنيتم، فبعضكم تحالف مع الباطل وأهله وتنازل عن بعض أصول دينه طمعًا في النصر والتمكين، ونسي أو غفل أن النصر بيد الله، ومن عند الله وليس من عند أعدائه، نسي بعد الدعاة أن الدين لن ينصر إلا إذا تجردنا من كل حظوظ الدنيا، وهذا ربنا جل وعلا يحذرنا من هذا الطريق ويقول: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن**

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾[هود:١١٣]، ويقول لنبيه الكريم: ﴿**وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:٧٤-٧٦]، وتأمل في الآيتين كيف ربط النصر بعدم الركون إلى الذين ظلموا ثبتنا الله وإياكم على الحق والدين حتى نلقاه، والشق الآخر من الدعاة وطلبة العلم الذي استعجل الثمرة والمواجهة مع أعداء الله في معركة غير متكافئة وفي مواطن ليست أرضًا للجهاد فقاتل في بلاد تقام فيها الصلاة، ويدعى فيها إلى الله ودين الله ظاهر، منزعه طيب وهدفه سام نبيل، ولكنكم قوم تستعجلون، ولا يفهم من هذا أننا لا نعتقد الجهاد، ولكن نقول به: الجهاد له ميادينه وأماكنه ورجاله،وليس في كل مكان وهو ماضٍ إلى يوم القيامة رسالتي إلى كل داعية وطالب علم، وكل من يريد نصر الأمة لن تنصر الأمة وهي بعيدة عن منهج الله كيف تنصر وفيها المعاصي ظاهرة والشرك والبدع تضرب أطنابها في أقطار المسلمين؟ كيف تنصر وقد اشترط ربنا لتمكينها ونصرها أن تعبده ولا تشرك به شيئًا؟ كيف تنصر وهي تحكم بغير شرع الله بالقوانين الوضعية؟ فالصبر الصبر، وعليكم بمجاهدة الباطل الذي استغل نفوذه وسلطانه في وسائل الإعلام فغرب المسلمين، ويحاول أن يفسد عليهم دينهم وأخلاقهم فقابلوا الحرب الفكرية بمثلها، وانشروا دين الله واكتشفوا زيف دعاويهم وأعلنوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يعلم الناس، ويتعلموا ويتربوا على معرفة المنكر، وبغضه وبغض أهله، ومحبة المعروف ومحبة أهله، واستمروا في تربية الأمة وأجيالها حتى يخرج على أيديكم جيلَ النصر المنشود ولا تستعجلوا الثمرة فإن النصر يلوح في الأفق فلا تأخروا مسيرة الإصلاح بعجلة لا تخدم أهدافكم وإياكم والجبن والخور والخوف فالجبان لا ينصر مظلومًا ولا يرفع راية لدعوة ولا لعلم، والعدو لا يخاف إلا من المؤمنين الشجعان الأبطال الذين يقولون الحق، ولا يخافون في الله لومة لائم .

الرسالة الرابعة : إلى المتفرجين الذين يرون المعركة بين الحق والباطل بين الإسلام والكفر عبر ميادين شتى دينية وعسكرية وثقافية وسياسية أين موقعكم من هذه المعركة؟،

يا من جعلت اهتمامك وشغلك الشاغل تسلية نفسك والتنقل في البراري والوديان تتنسم عبير الأشجار وعلى ضفاف الأنهار، يا من ذهب وقته في التفرج والنظر في الأحداث والتسمع في المجالس لما يكيده الأعداء، ثم تقلب طرفك وتنظر في نفسك، وتقول: هذا ليس لي ولست بكفء للدعوة والجهاد ونصر دين الإسلام، وتعلم حق العلم أنك في ذلك غير صادق، بل أنت تريد التهرب من المسؤولية، ألا فلتعلم أن الدين مسؤولية الجميع، والدفاعَ عن دين الله والذبَّ عن شريعته وعن حرمات المسلمين، والدعوةُ إلى الله وإلى دين الله مسؤوليتنا جميعًا مهما كنت مقصرًا، وأول طريق حتى تكسر هذه الأوهام استقم على دين الله وجاهد نفسك واضرب بسهم في نصر دين الله، قبل أن يأخذ الناس أخذاتهم، تصوركم هى حسرتك حين يقطف المسلمون الثمرة، ويفرح من جاهد وبذل ونصح وأنت تقف متفرجًا لا لدينك نصرت ولا لنفسك نصحت فالله الله فالبدار البدار فنصر الدين أبوابه كثيرة بالنفس والمال والجاه والعلم، فيا عبد الله لا تبخل في تقديم أي شيء لدينك، وكن مبادرًا ولا تنتظر من الآخرين أن يدفعوك فقد تجد وقد لا تجد من يدفعك للخير سر على بركة الله وفقنا الله وإياك للطاعة .

الرسالة الخامسة : رسالة إلى الأبطال، غرةِ الزمان، وجندِ الإيمان، إلى المرابطين في الثغور إلى الذين أثخنوا في أعداء الله، إلى أحبابنا الذين رفعوا العار والذلة عن جبين الأمة، يا من تركتم لذيذ العيش لنصرة دينكم والمسارعة لنيل الشهادة في سبيل الله، إلى الأبطال المجاهدين في أرض الإسراء في فلسطين، إلى المجاهدين في الشيشان إلى المجاهدين في أفغانستان، إلى المجاهدين في كشمير والفلبين والسودان وفي العراق اثبتوا فهذا هو طريق النصر، والله ثم والله لن تنصر الأمة إلا بالجهاد، **(وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا)** كم لكم من فضل علينا أحييتم قلوبنا وربيتم أبناءنا ونساءنا على الجهاد والبذل، لا نستطيع أن نصف لكم شعورنا ونحن نتابع أخباركم ونطارد مواقعكم التي يحجبها أعداؤكم من الأمريكان، وغيرهم لنسمع صوتكم أو نعرف أخباركم، ووالله إننا لفي شوق أن نشارككم في جهادكم، ولكن نستغفر الله من تقصيرنا وعجزنا، وإن كان لنا عذر فنقول: أنتم في أعلى الثغور، ونحن في بعض الثغور، أيها المجاهدون سيروا فإنكم تعلمون كما نعلم أنكم تقطفون الآن ثمرة النصر في فلسطين، فقد زلزلتم عرش إسرائيل

وأمريكا من ورائها وما هذه الألوف التي جاءت إلى العراق، إلا من أجلكم؛ لكي تنقذ الدولة اللقيطة اللعينة إسرائيل، لله دركم أيها الأبطال كم نفرح ونبكي لما نسمع عن عملياتكم الاستشهادية، ونقول: يا يهود إن أول الغيث قطرة، كم فرحنا وسعدنا عن تطويركم لآلات الحرب فقد سمعت قلوبنا وإن لم نتشرف بسماعها بآذاننا صوت دوي البتار والبنا والقسام التي دكت مغتصبات يهود، استمروا فقد ضجت الصليبية واليهودية العالمية من حنكتكم السياسية، ومقدرتكم القتالية سيروا واثبتوا ولا تتركوا هذا الخيار فهو الذي يُذل أعناق أعدائكم، وأنتم يا أبطال أفغانستان يا من تركتم الديار والأهل لنصرة دين الله والإثخان في أعداء الله، إننا نُتابُع أخباركم رغم التعتيم الإعلامي والحرب النفسية، وتصلُ أخبارُ عملياتكم فما يمر يوم أو يومان إلا ويقتل من علوج الروم ما يفرح قلب كل مسلم، ونحن ننتظر المزيد نصركم الله، وثبتكم على كل أعدائكم، وأنتم يا أبطال الشيشان لقد شاهدنا وشاهد الناس كُلُّهم عبر أشرطة الفيديو التي -ولله الحمد والمنة- تباع في كل مكان شاهدنا كيف تقتلون وتأسرون أعداء الله بالعشرات، وليس الخبر كالمعاينة، العالم يتعجب من قلة عددكم وكثرة قتلكم في الروس الذين يملكون الترسانة القويَّة من الأسلحة، ولكنهم لا يفقهون قول الله: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[البقرة:٢٤٩]، إن ظهور الجهاد وهو من بشائر النصر للأمة فلكم أجر إحيائه بين المسلمين، نسأل الله أن يثبتكم وينصركم على عدوكم ويرزقنا وإياكم الشهادة في سبيل الله إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الرسالة السادسة: أيها الإعلاميون، إن من حق الأمة عليكم أن تبشروها بالنصر، وترفعوا معنوياتها من خلال إظهاركم لانتصارات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لماذا لا نسمع في وسائل إعلام المسلمين عن الانتصارات في فلسطين والشيشان وأفغانستان والعراق لماذا تتعاونون مع أعداء الله في هزيمة المسلمين معنويًّا؟ لماذا تركزون في برامجكم وتغطياتكم الإعلامية على الهزائم، وكل أمر يصيب المسلمين بالإحباط؟ لماذا لا تبثون لنا ما يلحق بأعداء الله من التنكيل والقتل على أيدي المجاهدين؟ إننا لن نعلّمكم حرفتكم فأنتم أقدر الناس على صياغة الأخبار، وعرضها بطريقة تزيل الغمة عن المسلمين، وترفع معنويات الأجيال القادمة، إن أكبر جريمة تمارس أن يتربى أجيال الأمة على مشاهدة الهزائم

المتوالية، وتحجب عنهم مواقف النصر والتمكين على أعدائهم، لماذا لا تنشرون وتبشرون الأمة بدخول الآلاف، بل مئات الآلاف من الناس في الإسلام في إفريقيا في الآونة الأخيرة، لماذا لا تبشرون الأمة بدخول عشرات الآلاف من النصارى في أمريكا وأوربا في الإسلام رغم التشويه والتعتيم الإعلامي على دين المسلمين، أيها الإعلاميون: ألم تأخذكم الحمية؟ فتفعلون كما فعلت أمريكا حينما تحجب أخبار هزائمهم وقتلاهم في أفغانستان والعراق، فلا أقل من أن تفعلوا مثل ما فعلوا، فأمريكا لم تنتصر إلا بالأكاذيب، ونحن نطلب أن تنصروا المسلمين بالصدق والمصداقية في عرض الأخبار، هدانا الله وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه .

الرسالة السابعة: إلى كل عدو لله ورسوله من الكفار والمنافقين والمندسين في صفوف المسلمين نقول لهم: أبشروا بالذي يسوؤكم فالبرغم من المرحلة العصيبة التي تعيشها الأمة إلا أننا نرى ولله الحمد بشائر النصر تقترب فها هي الأمة تنادي بالجهاد وبإعلان الجهاد في شرق الأرض وغربها بعد أن غيبت الأمة سنوات وسنوات عن مثل هذه المعاني، يا أعداء الدين يا من استخدمتم كل الوسائل؛ لإغراق الأمة في الشهوات والبعد عن الدين ها هي الأمة المنصورة تعود إلى الله بكل شرائحها فالعودة لم تشمل رواد المساجد ولا رواد المراكز الإسلامية فقط، فالهداية والرجوع إلى الله شمل الرياضيين والفنانين والسياسيين وكبار المجرمين والتجار والرجال والنساء والمراهقين والمراهقات فالحمد لله أولاً وأخيراً فكفوا شركم واغتنموا الفرصة، وتوبوا إلى ربكم وإلا سوف يحل بكم ما حل بأسلافكم من أعداء الدين، كما فعل نبينا في بني قريظة بعد أن تمكن منهم، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

مبشرات نبويَّة بانتصار الإسلام :

١- انتشار الإسلام انتشاراً كبيراً: فقد بشر النبي ﷺ هذه الأمة بانتشار الإسلام في كافة أصقاع المعمورة، ونحن نجد الآن الإسلام يحقق انتشاراً عظيماً فما من بقعة على سطح الأرض إلا وسينتشر فيها الإسلام، هذا ما أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

عن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل**

والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»(١) .

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية .

وسوف تتسع دولة الإسلام في المشارق والمغارب،وقد يستغرب القارئ هذا الكلام وخاصة أن المسلمين اليوم مستضعفون وأن المحن والشدائد تحيط بها من كل حدب وصوب، ولكن هذا الكلام هو كلام من لا ينطق عن الهوى ليس كلامًا للاستهلاك ولا مجرد أمنية ولكن ذلك سيتحقق حينما يتمسك المسلمون بدينهم ويتحاكموا لشرع ربهم.

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألاَّ يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألاَّ أهلكهم بسنة عام، وألاَّ أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم،ولو اجتمع عليهم من بأقطارها** -أو قال: **من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»** (٢) .

٢- من المبشرات كذلك فتح القسطنطينية ورومية :

ومن المبشرات التي بشرنا بها رسول الله ﷺ أن المسلمين سيفتحون القسطنطينية وهذا قد حدث والحمد لله وسيفتحون كذلك رومية معقل الفاتيكان حاليًا سيفتحها المسلمون هكذا أخبر الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى،ولكن السؤال متى؟ والإجابة سهلة ميسورة حينما يعود المسلمين إلى كتاب ربهم وهدي نبيهم ويسيرون على نهج الصحابة الأطهار والسلف الأبرار حينها ستتحقق بشارة المصطفى المختار .

(عن عبد الله بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقال النبي ﷺ : **«لا بل مدينة هرقل أولاً»**(٣) .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتنة وأشراط الساعة» برقم (٢٨٨٩).

(٣) رواه الدارمي .

وفي مسند أحمد قال: حدثنا يحيى بن أيوب حدثني أبو قبيل قال: كنا عند عبد الله ابن عمرو بن العاصي، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية، فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية، أو رومية، فقال رسول الله ﷺ : «**مدينة هرقل تفتح أولاً**» يعني: قسطنطينية»[1].

٣- بقاء الطائفة المنصورة على الحق:

ومن المبشرات كذلك بقاء طائفة على الحق من أمة المصطفى ﷺ منصورين بإذن الله سبحانه .

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**»[2].

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[3].

٤- عودة الخلافة على منهاج النبوة :

فقد بشرنا المصطفى ﷺ بعودة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة فعلى الرغم من إسقاط الخلافة الإسلامية على يد عميل الصهيونية العالمية كمال أتاتورك، وفرح اليهود بهذا السقوط وتفرق الأمة إلى دويلات وأحزاب وشيع، فلن يستمر هذا الوضع إلى الأبد كما يظن أعداء الإسلام، بل سيتغير الأمر، ويشرق نور العدل من جديد وتنمحي الظلمة والاستبداد وذلك بعد عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فالليل مهما طال فلابد من بزوغ الفجر، وكل ظالم له نهاية فأين فرعون وهامان وأين الجبابرة والأكاسرة والقياصرة ألم يهلكوا ويتخلص الناس من شرهم فسيأتي اليوم الذي يهلك الله فيه الظالمين، وتتطهر الأرض من رجسهم ويتنفس الناس هواء العدل والحرية والسلام والأمن والطمأنينة .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه مسلم باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعته، برقم (١٥٦). (٣) رواه مسلم برقم (١٩٢٠).

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»**[١].

٥- القضاء على اليهود :

فمن المبشرات النبوية انتصار المسلمين على اليهود في المعركة الفاصلة، والتي ينطق فيها الحجر والشجر على المسلمين؛ لقتل من يختبئ خلفه، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، كما أخبر بذلك المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم»** [٢].

فهذا حديث غاية في الروعة والبيان وهو أكبر دليل على أن الأرض تبغض العصاة وخاصة اليهود الذين تلطخت أيديهم بدماء المسلمين، والذين يعيشون في الأرض فسادًا، والله لا يحب الفساد، فحين يأذن الله للأرض أن تتكلم فتنطق وتنادي على المسلم الذي يجاهد في سبيل الله للقضاء على هذا السرطان، وتنبهه إلى وجود يهودي ليقتله جزاء إفساده في الأرض .

مبشرات من واقعنا الحالي بانتصار الأمة :

قد يستغرب القارئ من هذا العنوان،ويقول : أي مبشرات هذه التي تقول عنها، ونحن في ذلة ومهانة وضعف وخور، أقول مع كل ذلك فالنصر قريب إن شاء الله، والأدلة على ذلك من عصرنا الحديث كثيرة منها :

أ- عودة الكثير من المسلمين لدينهم:

كثير من المسلمين الآن بدؤوا في العودة لدينهم فبدأ الكثير في المحافظة على الصلاة، وأداء العمرة، والحج، وبدأت الفتيات في التزام الزي الشرعي في اللباس، وبدأ التدين

---

(١) رواه أحمد والبزار والطبراني .

(٢) رواه مسلم «كتاب الفتن وأشراط الساعة» برقم (٢٩٢٢).

يظهر في الكثير من بلاد الإسلام على الرغم مما يواجهه أبناء الصحوة من تضييق وسجن وتشريد وطرد أقول مع كل ذلك انتشر التدين، وبدأ الناس في العودة لدين الله أفواجًا .

ب- علو الصوت الإسلامي في البرلمانات :

منذ مدة قصيرة لم يكن مسموح بوجود صوت إسلامي في البرلمانات المنتخبة، ومع الضغوط الشعبية على الحكومات،وبالرغم من تزوير الانتخابات إلا أن الصوت الإسلامي بدأ واضحًا في كثير من هذه البرلمانات،وإن كانت البداية ضعيفة فلا شك أن أول السيل قطرة، وما يلبث أن يعم الغيث الأرض بنفعه .

ج- الرغبة في الجهاد في سبيل الله :

إن كثيرًا من شباب الأمة يتحرق شوقًا للجهاد في سبيل الله، ويتمنى لو رفعها أحد ولاة الأمر فكم من المظاهرات التي عمت أرجاء العالم الإسلامي؛ لنصرة المسلمين في فلسطين والشيشان، ومن قبلها البوسنة والهرسك، ولكن أوصدت الأبواب في وجه من رغب في نصرة الدين والدفاع عن الأوطان، حتى من ذهب وجاهد في أفغانستان وصم بالإرهاب وسجن بعد عودته إلى وطنه .

د- حديث زعماء العالم عن الإسلام :

فكم من زعماء العالم من تحدث عن الإسلام وأنه الخطر الداهم الذي بات يؤرقهم ويقض مضاعهم، وهذه بشارة بقرب حلول النصر، فلو لم يكن في الإسلام القوة الروحية والمادية والمعنوية، والطاقات الهائلة لما اعتبره الغرب هو العدو الأول الآن، بعد سقوط الشيوعية، فالأمة لم ولن تموت كما يزعم العلمانيون الحاقدون .

هـ- انتشار الإسلام في الغرب :

إن الناس في الغرب يقبلون على الإسلام إقبالاً كبيرًا، وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتدمير برجي التجارة العالمية في واشنطن، فكما يقولون: رب ضارة نافعة؛ فإسقاط البرجين، وإن أثر سلبًا على العرب عامة والمسلمين المقيمين هناك خاصة، وهو عمل لا نقره؛ لأنه مخالف لشريعة الإسلام السمحة، إلا أن الناس هناك بدؤوا في القراءة عن دين الإسلام بعد ما تكلم زعماؤهم عنه،وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، وانتشرت المساجد ودور العبادة انتشار النار في الهشيم، وهذا من العلامات التي تبشر بانتصار الأمة .

****

المصادر والمراجع

١- «القرآن الكريم»

٢- «الجهاد الإسلامي المعاصر فقهه - حركاته - أعلامه»، حسني أدهم جرار .

٣- «الصديق أبو بكر»، محمد حسنين هيكل .

٤- «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي .

٥- «التفسير المنير»، وهبة الزحيلي .

٦- «تفسير المنار»، رشيد رضا .

٧- «في ظلال القرآن»، سيد قطب .

٨- «كتاب الزهد»، للإمام أحمد .

٩- «تفسير الطبري»، ابن جرير الطبري .

١٠- «فتح القدير»، للشوكاني .

١١- «البيان في مداخل الشيطان»، عبد الحميد البلال .

١٢- من كتاب جورج براون، نقلاً عن كتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية» للدكتور / مصطفى خالدي، والدكتور/ عمر فروخ .

١٣- «الفتاوى»، لابن تيمية .

١٤- «المبسوط»، للسرخسي .

١٥- «سيرة ابن هشام».

١٦- «شرح النووي على صحيح مسلم» .

١٧- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» .

١٨- «حواشي تحفة المحتاج على المنهاج».

١٩- «المغني»، لابن قدامة .

٢٠- «الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك» .

٢٢- «غزوة بني المصطلق»، لإبراهيم القريبي .

٢٣- «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي .

٢٤- «منهاج المسلم»، لأبي بكر الجزائري .

٢٥- «الرسول القائد»، اللواء الركن / محمود شيت خطاب .

٢٦- «شعب الإيمان»، للبيهقي .

٢٧- «معارك العرب الحاسمة»، صبحي عبد الحميد .

٢٨- «قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام»، أحمد مختار العبادي .

٢٩- «اليهود في القرآن الكريم»، عفيف عبد الفتاح طبارة .

٣٠- «تاريخ السيوطي» .

٣١- «المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية» اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ .

٣٢- «عبقرية محمد ﷺ»، للعقاد .

****

الفهرس